مجلة
الجمعية التاريخية السعودية

إجلاء عمر بن الخطاب ﷺ لأهل الذمة

أ.د. محمد بن فارس الجميل

تقاليد الزواج عند المسلمين في الأندلس

د. خالد بن عبدالكريم البكر

النشاط التجاري لموانئ جنوب الجزيرة العربية في العصر العباسي

د. سعيد بن عبدالله القحطاني

كتاب موجز لتاريخ الوهابي للسير هارفرد جونزبريدجز

د. عويضه بن متيريك الجهني

دورية • علمية • محكمة

تعنى بالدراسات التاريخية والحضارية

العدد السابع / السنة الرابعة

جمادى الأولى ١٤٢٤هـ / تموز/ يوليو ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

الرئيس الفخري
للجمعية التاريخية السعودية

صاحب السمو الملكي الأمير/ سلمان بن عبدالعزيز آل سعود
أمير منطقة الرياض

أعضاء مجلس إدارة الجمعية التاريخية السعودية ١٤٢٣هـ

الاســـم	الجامعة	الوظيفة
د. عبد الله بن على الزيدان	جامعة الملك سعود	رئيس مجلس الإدارة
د. ناصر بن محمد الجهيمي	دارة الملك عبدالعزيز	نائب الرئيس
د. سعيد بن عبد الله القحطاني	جامعة الملك سعود	أمين المال
د. عبد الله بن محمد المطوع	جامعة الملك سعود	أمين سر المجلس
د. عبدالله سراج منسي	جامعة الملك عبدالعزيز	عضواً
د. عدنان بن محمد الحارثي	جامعة أم القرى	عضواً
أ. د. عمر بن صالح العمري	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	أمين البحث العلمي
د. سعد بن حسين عثمان	جامعة الملك خالد	عضواً
أ.د. سعيد بن عمر آل عمر	جامعة الملك فيصل	عضواً

الاشتراك السنوي

العدد شاملاً أجور البريد

العالم العربي (قيمة النسخة):

الأفـــــــراد :	٢٠ ريــــــالاً
المؤسســـــات :	٤٠ ريــــــالاً
الاشتراك الســـنوي :	[عددان]
للأفـــــراد :	٤٠ ريــــــالاً
للمؤسســـات :	٨٠ ريــــــالاً

خارج الوطن العربــي:

الأفـــــــراد :	١٠ دولار أمريكـــي
المؤسســـــات :	٢٠ دولار أمريكـــي
الاشتراك الســـنوي :	[عددان]
للأفـــــراد :	٢٠ دولار أمريكـــي
للمؤسســـات :	٤٠ دولار أمريكـــي

ترسل الاشتراكات بشيك مصدق باسم:

الجمعية التاريخية السعودية

عنوان المراسلة:

الجمعية التاريخية السعودية – جامعة الملك سعود

ص. ب: ٢٤٥٦ الرياض: ١١٤٥١

المملكة العربية السعودية

تليفاكس: ٤٦٧٤٠٨٩

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مجلة الجمعية التاريخية السعودية

١٥٠ص : ١٢/ ١٩

رقم الإيداع ٢٠/٣٠٨١ وتاريخ ١٨/٩/١٤٢٠هـ

ردمد: ١٣١٩-٨٨٨٢ : ISSNN

العدد السابع / السنة الرابعة

فهرس العدد

إجــلاء عمــر بن الخطاب ﷺ لأهــل الذمــة
قــراءة مقارنة في روايات المحدِّثين والمؤرخين

أ.د. محمد بن فارس الجميل (*)

الملخص:

قام الخليفة عمر بن الخطاب في سنة ٢٠هـ بإجلاء غير المسلمين (أهل الذمة) من جزيرة العرب.

وقد اختلفت الروايات في تفسير ذلك الحدث، إذ نجد روايات المحدثين تكاد تؤكد أن سبب الإجلاء سبب ديني محض أي عملاً بقول النبي ﷺ: "لا يجتمع بجزيرة العرب دينان" وجميع الأحاديث ذات المضمون نفسه.

أما روايات المؤرخين في تناولها لذلك الأمر تقدم للقارئ مسوغات أخرى ليس من بينها المسوغ الديني، وإن وجد فهو أضعف تلك المسوغات.

لذلك فإن هذه الدراسة تهدف إلى قراءة روايات المحدثين والمؤرخين قراءة متأنية ثم الموازنة بينها للتعرف على أوجه الشبه والإختلاف، ومن ثم تقرير أي المسوغات أقوى في عملية الإجلاء تلك.

(*) الأستاذ بقسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود.

مقدمة:

في السنة السابعة من الهجرة تمكن النبي ﷺ من الاستيلاء على معظم بلدان شمالي الحجاز مثل خيبر وفدك ووادي القرى وتيماء حيث أصبحت تلك البلدان تحت السيطرة المباشرة لدولة الرسولﷺ بالمدينة .

وفي السنة العاشرة من الهجرة جاء وفد نصارى نجران إلى المدينة لمقابلة الرسول ﷺ وانتهت تلك المقابلة باعتراف نصارى نجران بسلطة النبيﷺ وأقروا له بدفع الجزية. ويبدو أن الأمور سارت على هذا النحو في عهد الخليفة أبي بكر الصديق ، لكن في السنوات الأخيرة من خلافة عمر بن الخطاب ، حدثت بعض التطورات السلبية على تلك العلاقة -على الأقل من وجهة نظر أهل تلك البلدان- إذ نجد الخليفة عمر يقوم بإجلاء بعض تلك الجماعات من غير المسلمين من مواطنهم تلك إلى مواطن أخرى خارج الحدود الجغرافية للجزيرة العربية.

ونتيجة لتلك السياسة فقد اختلفت الروايات في تفسير ذلك الحدث ، إذ نجد روايات المحدِّثين تكاد تؤكد أن سبب الإجلاء سبب ديني محض ، أي عملاً بقول الرسول ﷺ " لا يجتمع بجزيرة العرب دينان "أو لا يترك بجزيرة العرب دينان" وجميع الأحاديث ذات المضمون نفسه.

أما روايات المؤرخين فتقدم للقارئ مسوغات أخرى ليس من بينها المسوغ الديني ، وإن وجد فهو أضعف تلك المسوغات.

تهدف هذه الدراسة إلى قراءة روايات المحدِّثين والمؤرخين قراءة متأنية ثم الموازنة بينها للتعرف على أوجه الشبه والاختلاف ، ومن ثم تقرير أي المسوغات أقوى في عملية الإجلاء تلك. أي هل كانت الأسباب الدينية هي الحافز الأقوى في سياسة الإجلاء التي اتبعها الخليفة عمر تجاه أهل الذمة من سكان تلك البلدان أم أن الأسباب

الموضوعية التي ترددت في المصادر التاريخية كانت هي القوة الفاعلة في تنفيذ تلك السياسة؟

ثم هل كانت حملة الإجلاء شاملة لجميع غير المسلمين من أهل الذمة سكان تلك البلدان أم كان هناك بعض الاستثناءات؟ وماذا عن الأقليات الدينية الأخرى مثل: يهود الطائف وأهل الكتاب من سكان تبالة وجُرش وأهل الكتاب من أهل اليمن وبالأخص يهودها وأخيراً اليهود والنصارى والمجوس أهل الأرض في البحرين؟

الملاحظ أن المصادر الحديثية والتاريخية قد التزمت الصمت تجاه تلك الجماعات فلم تشر إليهم خلال عملية الإجلاء تلك ولم تقل شيئاً كذلك عن أوضاعهم القانونية الجديدة جراء السياسة العمرية نحو أهل الذمة؟

هذه الأسئلة وغيرها ستكون محور المناقشة في هذه الدراسة التي يؤمل منها أن تساعد في تقديم بعض الأجوبة المقنعة عن الأسئلة مدار البحث.

١ - تمهيد:

قبل الحديث عن إجلاء عمر لأهل الذمة حسب ما ورد في روايات المحدِّثين والمؤرخين، فإنه من الضروري التمهيد لذلك الحدث بتذكير القارئ بأحداث السنة السابعة للهجرة التي كان مسرحها شمالي الحجاز وعلى وجه الخصوص خيبر وفدك ووادي القرى وتيماء إذ إن تلك البلدان أصبحت تحت السيطرة المباشرة للمسلمين، وذلك نتيجة للنشاط العسكري الذي قاده رسول الله ﷺ في تلك المناطق على النحو التالي:

أ - خيبر:

بعد أن أبرم رسول الله ﷺ صلح الحديبية في أواخر السنة السادسة للهجرة مع قريش، وعاد إلى المدينة، غزا خيبر في نهاية شهر محرم وأوائل صفر من السنة السابعة

للهجرة[1]. وحاصر حصونها حصناً حصناً واستولى عليها، ثم صالح يهودها على حقن الدماء وأن يخلوا بين المسلمين وبين الصفراء والبيضاء وبين أرضهم والبزة إلا ما كان على أجسادهم، فأقرهم رسول الله ﷺ في الأرض عماراً لها وعاملهم على الشطر من التمر والحب، وقال: "أقركم ما أقركم الله على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم.."[2].

ب – فدك:

ثم بعث رسول الله ﷺ إلى أهل فدك[3]، منصرفه من خيبر مَحيصة بن مسعود الأنصاري يدعوهم إلى الإسلام، ورئيسهم رجل منهم وهو: يوشع ابن نون اليهودي، فصالحوا رسول الله ﷺ على نصف الأرض بتربتها، فقبل ذلك منهم. فكان نصف فدك خالصاً لرسول الله ﷺ[4].

---

(1) انظر: عبدالملك بن هشام الحميري، **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج٣، ص٣٥٧- ٣٥٨؛ وقارن: محمد بن عمر الواقدي، **المغازي**، تحقيق مارسدن جونز، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج٢، ص٦٣٤.

(2) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٣، ص٣٦٧؛ الواقدي، **المغازي**، ج٢، ص ص٦٩٠- ٦٩١.

(3) فدك : بالتحريك وآخره كاف، هي قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة. انظر: ياقوت بن عبد الله الحموي، **معجم البلدان**، بيروت: دار صادر ودار بيروت، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م، ج٤، ص ص٢٣٨- ٢٤٠؛ وفدك اليوم قرية صغيرة شرقي خيبر، تعرف اليوم بالحائط. انظر: عاتق غيث البلادي، **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، مكة: دار مكة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٢٣٥ .

(4) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٣، ص٣٦٧، ٣٨٤؛ أحمد بن يحيى البلاذري، **فتوح البلدان**، تحقيق عبدالله وعمر أنيس الطباع، بيروت: مؤسسة المعارف، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ص٤١- ٤٢؛ وقارن: الواقدي، **المغازي**، ج٢، ص ص٧٠٦- ٧٠٧.

ج - وادي القرى:[٥]

ثم إن رسول الله ﷺ أتى وادي القرى منصرفه من خيبر فدعا أهلها إلى الإسلام فامتنعوا من ذلك، وقاتلوا ففتحها رسول الله ﷺ عنوة وغنم أموال أهلها، وترك النخل والأرض في يد اليهود وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر[٦].

د - تيماء:

أما أهل تيماء فإنه لما بلغهم استيلاء الرسول ﷺ على وادي القرى، صالحوه على الجزية، فأقاموا ببلادهم وأرضهم[٧]. ثم يضيف البلاذري إلى روايته هذه أن رسول الله ﷺ، أسند ولاية تيماء إلى يزيد بن أبي سفيان[٨]. وجاء في مصدر آخر أن يزيد أسلم يوم فتح تيماء[٩].

ولكن رواية البلاذري عن صلح النبي ﷺ مع أهل تيماء لا تسلم من النقد لأن سقوط وادي القرى كان في سنة ٧هـ[١٠] ومعلوم أن يزيد بن أبي سفيان كان من مسلمة الفتح[١١] أي فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة، فكيف تسنى ليزيد أن يكون والياً

---

(٥) وادي القرى: يعرف اليوم بوادي العُلا: مدينة عامرة شمال المدينة النبوية، على قرابة (٣٥٠) كيلاً، كثيرة المياه والزرع والأهل، وواديها -وادي القرى- يصب في وادي الجزل. انظر: عاتق البلادي، **معجم المعالم الجغرافية**، ص٢٥٠.

(٦) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ص٤٧- ٤٨

(٧) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٤٨.

(٨) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٤٨.

(٩) انظر: عبدالله بن عبد العزيز البكري، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق مصطفى السقا، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣م، ج١، ص٣٢٩.

(١٠) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٤٨.

(١١) انظر: يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري القرطبي، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بهامش الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني**، نسخة مصورة عن طبعة دار السعادة بمصر (١٣٢٨هـ)، ٣/٦٤٩؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج٣، ص٦٥٦.

لرسول الله ﷺ على تيماء قبل فتح مكة بعام تقريباً؟ وورد عند ياقوت الحموي في معجمه ما يمكن أن يجعل رواية البلاذري أكثر انسجاماً مع تطور الأحداث في شمال الحجاز آنذاك وذلك قوله: "ولما بلغ أهل تيماء في سنة ٩هـ وطء النبي ﷺ وادي القرى، أرسلوا إليه وصالحوه على الجزية وأقاموا ببلادهم وأرضهم بأيديهم"[١٢]. إذا كان من الممكن قبول هذه الرواية فيمكن القول أن رسول الله ﷺ بعث يزيد بن أبي سفيان والياً على تيماء في السنة التاسعة من الهجرة.

وتبقى هنا مشكلة التوقيت الزمني لاعتراف تيماء بسلطة النبي عليها، فهي من ناحية تجعل ولاية يزيد بن أبي سفيان على تيماء في تلك السنة أكثر قبولاً وكذلك أمر الجزية فمن المعلوم أن تشريع الجزية كان في السنة التاسعة للهجرة أي في غزوة تبوك، أما الناحية الأكثر صعوبة في رواية ياقوت الحموي فهي تلكؤ تيماء بالاعتراف بسلطان دولة الرسول عليها لمدة عامين من سقوط وادي القرى. وهذا أمر لا يسمح به منطق الأحداث المتسارعة في شمال الحجاز حينئذٍ.

أما في السنة العاشرة فكان من أحداثها قدوم وفد نجران إلى رسول الله ﷺ في المدينة، وربما كان ذلك استجابة لدعوته إياهم للدخول في الإسلام، كما جاء عند اليعقوبي، حيث إن النبي ﷺ كان قد خيرهم في كتابه إليهم بين الإسلام أو الجزية[١٣]. ومعلوم أن فرض الجزية جاء متأخرا.

ومن ثم فقد وفد على رسول الله ﷺ أربعة عشر رجلا من نصارى نجران، فيهم من الرؤساء: العاقب وهو عبد المسيح، وأبو الحارث ابن علقمة، والسيد، فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأبوا وكثر الكلام والحجاج بينهم، وتلا عليهم رسول الله

[١٢] انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص٦٧.

[١٣] انظر: أحمد بن واضح اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، بيروت: دار بيروت، ص٨١ ؛ محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، بيروت: دار النفائس، ١٤١٣هـ/١٩٨٣م، ص١٧٤ وثيقة (٩٣).

ﷺ القرآن، .. ثم صالحهم على ألفي حلة من حلل الأواقي وغير ذلك وجاء في صلحهم ألا يغير أسقف عن سقيفاه ولا راهب عن رهبانيته، ولا واقف عن وقفانيته[١٤].

وقد استمرت أوضاع أهل الذمة من اليهود والنصارى في الحجاز ونجران كما أقرها رسول الله ﷺ. ويظهر كذلك أن أوضاعهم لم يطرأ عليها أي تغيير في عهد الخليفة أبي بكر الصديق بل ربما جدد عهد رسول الله ﷺ لبعضهم كما حدث مع نصارى نجران[١٥].

٢ - إجلاء عمر لأهل الذمة:

في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وعلى وجه الدقة في السنوات الأخيرة من خلافته، تغيرت سياسته تجاه أهل الذمة القاطنين منهم في جزيرة العرب، حيث قرر إجلاءهم إلى خارجها كما تذكر الروايات وقد اختلفت مصادرنا في تفسيرها لموقف عمر من أهل الذمة، فالمصادر الحديثية تعزو تلك السياسة إلى توجيهات النبي ﷺ وإيحاءاته بهذا الخصوص، أي وجوب إجلاء اليهود والنصارى من بلاد العرب أو جزيرة العرب بحيث "لا يبقى في بلاد العرب دينان". أما المصادر التاريخية فتعزو الإجلاء لأسباب أخرى لعل أضعفها الأسباب الدينية.

وسنتعرف هنا أولاً إلى روايات الإجلاء عند المحدِّثين.

٣ - روايات الإجلاء عند المحدِّثين:

جاء عند البخاري في روايته عن ابن عباس قوله، قال رسول الله ﷺ في مرض

---

(١٤) محمد بن سعد بن منيع البصري، **الطبقات الكبرى**، بيروت: دار صادر، د: ت، ج١، ص ص٣٥٧ - ٢٥٨؛ وانظر معاهدات رسول الله مع يهود نجران عند حميدالله، **مجموعة الوثائق**، ص ص١٧٥- ١٧٩، الوثائق (٩٤- ٩٥).

(١٥) انظر: البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٨٨؛ حميدالله، **مجموعة الوثائق**، ص١٩١، الوثيقة (٩٨).

الوفاة: "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم"[١٦] وجاء عند مالك بسنده عن عمر بن عبد العزيز، قال: كان آخر ما تكلم به النبي ﷺ: "قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لا يبقين دينان بأرض العرب"[١٧] قال مالك قال ابن شهاب ففحص عن ذلك عمر ابن الخطاب حتى أتاه الثلج واليقين أن رسول الله ﷺ قال: "لا يجتمع دينان في جزيرة العرب" فأجلى يهود خيبر[١٨]. ويستطرد الإمام مالك في حديثه عن إجلاء عمر لأهل الذمة، فيقول: وقد أجلى عمر بن الخطاب يهود نجران وفدك، فأما يهود خيبر فقد خرجوا منها ليس لهم من الثمر ولا من الأرض شيء[١٩].

وقد ورد عند أحمد بن حنبل بسنده عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: "كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال: لا يترك بجزيرة العرب دينان"[٢٠] وقال ابن عمر: أجلى عمر المشركين من جزيرة العرب، وقال لا يجتمع في جزيرة العرب دينان، وضرب لمن قدم منهم أجلاً قدر ما يبيعون سلعهم[٢١].

ولدينا طائفة أخرى من الأحاديث التي تنص صراحة على وجوب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، فقد جاء في أحدها قول الرسول ﷺ "لئن عشت

---

(١٦) محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، الرياض: دار السلام، ١٤١٧هـ، ص٦١٩ (حديث: ٣٠٥٣)، ص٦٤٦ (حديث: ٣١٦٨)؛ وانظر مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم**، ج٣، ص ص١٢٥٧- ١٢٥٨ (حديث: ١٦٣٧).

(١٧) مالك بن أنس، **الموطأ**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د: ت، ص ص٨٩٢ - ٨٩٣ (حديث: ١٧).

(١٨) مالك، **الموطأ**، ص٨٩٣.

(١٩) مالك، **الموطأ**، ص ٨٩٣ (حديث : ١٩).

(٢٠) أحمد بن حنبل، **المسند**، القاهرة: مؤسسة قرطبة، د: ت، ج٦، ص٢٧٥ (حديث: ٢٦٣٩٥).

(٢١) أبو عبيد القاسم بن سلام، **كتاب الأموال**، تحقيق محمد خليل هراس، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص١٠٧.

لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أترك فيها إلا مسلماً"[٢٢] وكذلك حديث جابر بن عبد الله عند أبي عبيد، قال: أمر رسول الله ﷺ بإخراج اليهود من جزيرة العرب"[٢٣].

كما أن هناك أحاديث تحدد على نحو دقيق أقاليم وبلداناً بعينها يجب إجلاء أهل الذمة منها، مثل ما جاء عند الدارمي، بسنده عن أبي عُبيدة ابن الجراح أن رسول الله ﷺ قال: "أخرجوا اليهود من الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب"[٢٤].

ويظهر من بعض الروايات أن عمر بن الخطاب اتخذ قرار إجلاء أهل الذمة وخاصة يهود خيبر وفدك وربما وادي القرى بناءً على حديثين يستحقان من الباحث التوقف أمامهما وذلك بسبب اضطراب السند الظاهر عليهما!

إذ نجد بعضها يجيء بصيغة أن عمر سمع رسول الله ﷺ يقول (...) بينما بعضها الآخر يأتي بصيغة بلغ عمر أن رسول الله ﷺ قال (...)!

ومن ذلك ما جاء عند مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله قال: أخبرني عمر بن الخطاب؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً"[٢٥].

---

[٢٢] انظر: محمد ناصر الدين الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، الرياض: مكتبة المعارف، د: ت، ج٣، ص١٢٥ (حديث: ١١٣٤).

[٢٣] أبو عبيد، **كتاب الأموال**، ص١٠٧.

[٢٤] عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، **سنن الدارمي**، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، القاهرة: دار الريان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج٢، ص ص٣٠٥- ٣٠٦ (حديث: ٢٤٩٨)؛ أبوعُبيد، **كتاب الأموال**، ص١٠٨.

[٢٥] مسلم، **صحيح مسلم**، ج٣، ص١٣٨٨ (حديث: ١٧٦٧)؛ محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، تحقيق إبراهيم عطوه وآخرون، القاهرة: مطبعة الحلبي، ١٣٨٢هـ، ج٤، ص١٥٦ (حديث: ١٦٠٦، ١٦٠٧)؛ وقارن الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، ج٣، ص١٢٥ (حديث: ١١٣٤).

وجاء عند الترمذي بسنده عن جابر بن عبد الله عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: "لئن عشت إن شاء الله لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب"[٢٦].

أما الصيغة الثانية من الحديث، فقد جاءت عند ابن شهاب الزهري في معرض حديثه عن إجلاء يهود خيبر إذ قال: ثم بلغ عمر أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قبضه الله فيه: "لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان"[٢٧]. وجاء عند مالك بسنده عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: "لا يجتمع دينان في جزيرة العرب"[٢٨].كما أننا نجد رواية لدى عبدالرزاق في المصنف عن الزهري عن المسيب، قال، قال رسول الله ﷺ: "لا يجتمع بأرض العرب -أو قال الحجاز- دينان، قال ففحص عن ذلك عمر حتى وجد عليه الثبت، قال الزهري، فلذلك أجلاهم عمر"[٢٩].

وفي حديث عبد الرزاق عن إجلاء عمر ليهود خيبر أورد خبراً أكثر تفصيلاً من سابقه، رواية عن الزهري عن ابن المسيِّب، قال: ثم أُخبرَ عمر أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي مات فيه: "لا يجتمع بأرض العرب -أو قال: بأرض الحجاز- دينان، ففحص عن ذلك حتى وجد عليه الثبت، ثم دعاهم فقال: من كان عنده عهد من رسول الله ﷺ فليأت، وإلا فإني مجليكم، فأجلاهم منها[٣٠]. وما من شك في أن هذا التعارض في طريق الرواية فيه إشكال عند المحدِّثين.

ومن الواضح كذلك أن الروايات الحديثية تؤكد بجلاء لا لبس فيه أن الخليفة

---

[٢٦] الترمذي، **السنن**، ج٤، ص١٥٦، (حديث: ١٦٠٦).

[٢٧] انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٣، ص٣٨٨.

[٢٨] مالك، **الموطأ**، ص٨٩٢ (حديث: ١٨).

[٢٩] عبدالرزاق بن همام الصنعاني، **المصنَّف**، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، د: م، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ج١٠، ص٣٥٩ (حديث ١٩٣٦٧).

[٣٠] عبدالرزاق الصنعاني، **المصنف**، ج١٠، ص٣٦٠ (حديث: ١٩٣٦٩).

عمر بن الخطاب اتخذ قرار إجلاء يهود خيبر وفدك ووادي القرى وما جاورها بناءً على ما سمعه أو بلغه عن رسول الله ﷺ بوجوب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، لأنه لا يجتمع بجزيرة العرب دينان.

ويتبين من هذا المنطوق أن الحافز الديني كان هو السبب الأقوى في قرار عمر لإجلاء أهل الذمة.

أما المؤرخون فربما لديهم أسباب أخرى هي التي دفعت أمير المؤمنين عمر إلى إجلاء أهل الذمة من جزيرة العرب لكن قبل مناقشة روايات المؤرخين المتعلقة بعملية الإجلاء يجدر بنا التعرف أولاً إلى مصطلح جزيرة العرب وكذلك الحجاز، لأن كلا المصطلحين لا يخلوان من إشكال. !

٤ - مصطلح جزيرة العرب والحجاز:

فيما يتعلق بجزيرة العرب، فليس لدينا تعريف جغرافي دقيق يمكن أن يُطْمأن إليه. وعلى كل حال فإن ابن الفقيه الهمذاني[٣١] قد جمع لنا بعض أقوال المتقدمين التي تحدد المفهوم الجغرافي لجزيرة العرب، ومن هذه الأقوال؛ ما ذكره الشعبي (ت: ١١٠هـ تقريباً) عندما سئل عن جزيرة العرب فقال: "ما بين العُذيب إلى حضرموت"[٣٢] وواضح من هذا التعريف أنه اهتم بتحديد طول جزيرة العرب دون الإشارة إلى عرضها، فهي حسب رأي الشعبي تمتد من العذيب في العراق شمالاً وحتى حضرموت جنوباً.

أما محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ): فيقول: "بلاد العرب الذين لا تقبل منهم الجزية، ولا يرضى منهم إلا بالدخول في الإسلام أو السيف من العذيب إلى أبْيَنَ

---

[٣١] انظر: أحمد بن محمد الهمذاني (المعروف بإبن الفقيه)، **كتاب البلدان**، تحقيق يوسف الهادي، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص١٧٦.

[٣٢] ابن الفقيه، **كتاب البلدان**، ص١٧٦.

عدن، فذلك الجزيرة"[٣٣]. وواضح من هذا التعريف أنه قريب من سابقه فهو لا يشير إلى عرض جزيرة العرب أو بلاد العرب.

أما أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) فيرى أن جزيرة العرب ما بين حفر أبي موسى [في جنوب العراق] إلى أقصى اليمن في الطول، وفي العرض ما بين رمل يبرين [بطرف الربع الخالي] إلى السماوة"[٣٤]. ومع محاولة أبي عُبيدة في تحديد عرض جزيرة العرب إلا أن التوفيق لم يحالفه في محاولته تلك إذ إن رمل يبرين والسماوة يقعان ضمن الحدود الطولية للجزيرة من الجنوب إلى الشمال، وليس العكس من الغرب إلى الشرق.

وقال الأصمعي (ت ٢١٦هـ): "جزيرة العرب ما لم تظله فارس والروم"[٣٥]. وهذا كما هو واضح تعريف فيه الكثير من التجاوز إذ إنه مبني على حدود السلطة السياسية وليس على واقع جزيرة العرب الجغرافي! .

أما الرياشي (ت ٢٥٧هـ) فإن جزيرة العرب عنده: "هي ما بين نجران إلى العذيب"[٣٦]. وهو هنا يهمل اليمن ولا يتعرض إلى الحدود التي تبين عرض جزيرة العرب.

وهكذا فليس هنا تعريف دقيق بمصطلح جزيرة العرب، إذ إن التعريف ينحصر مرة ببعض الأقاليم والمناطق الجغرافية وأحياناً أخرى يرتبط بحدود السلطة السياسية، وأحياناً يكون التعريف مبنياً على العرق أي الجنس كما جاء عند محمد بن الحسن الشيباني بل إن الأغرب من هذا كله ما جاء عن الإمام مالك من أن جزيرة العرب هي

---

[٣٣] ابن الفقيه، **كتاب البلدان**، ص١٧٦.

[٣٤] ابن الفقيه، **كتاب البلدان**، ص١٧٦.

[٣٥] ابن الفقيه، **كتاب البلدان**، ص١٧٦؛ وانظر الرأي الآخر للأصمعي بخصوص جزيرة العرب عند: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص١٣٨.

[٣٦] ابن الفقيه، **كتاب البلدان**، ص١٧٦؛ وانظر الأقوال المختلفة في حدود جزيرة العرب عند: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص ص١٣٧- ١٣٨.

المدينة نفسها[٣٧]، لذا فهو لا يرى بأساً باليهودي يبتاع أرضاً بالجرف فيزرعها[٣٨]، ومعلوم أن الجرف ليس ببعيد عن المدينة[٣٩]. بل هو الآن من ضواحيها.

وهكذا فمصطلح الجزيرة العربية أو بلاد العرب لا يخلو من إشكال إذ إننا لا نكاد نجد التعريفات السابقة تتفق فيما بينها على تعريف واضح ودقيق بشأن جزيرة العرب، وليس من شأن هذا البحث ولا باستطاعته أن يأتي بالقول الفصل في هذا الأمر إذ يكفي أن يفهم القارئ مدى الغموض الذي يحيط بهذا المصطلح، ولذلك فإن تنفيذ إجلاء بعض أهل الذمة لم يأت متوافقاً ودقيقاً مع مفهوم حدود جزيرة العرب شأنه شأن المصطلح نفسه.

وكذلك فإن إشكالية مصطلح الحجاز لا تقل من حيث الغموض عن مصطلح جزيرة العرب، وقد حاول بعض الباحثين المحدِّثين الوصول إلى تحديد دقيق لمصطلح الحجاز ولكن دون نجاح يذكر[٤٠].

وقد نقل لنا ياقوت في معجمه الجغرافي جملة من التعريفات المتعارضة التي يطول شرحها، وتكفي الإشارة هنا إلى تعريف الأصمعي للحجاز كما نقله لنا

---

(٣٧) انظر: المبارك محمد بن الجزري (ابن الأثير)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق طاهر محمد الراوي ومحمود محمد الطناحي، بيروت: دار الفكر، د: ت، ج١، ص٢٦٨، مادة "جزر".

(٣٨) انظر: البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ص١٠٢- ١٠٣.

(٣٩) الجُرفْ: بسكون الراء -هو الصواب- مكان غربي المدينة يرى من جبل سلع مغيب الشمس، يظلله عشياً جبل سامق يسمى جبل الشظفاء. انظر: عاتق البلادي، **معجم المعالم**، ص٢٨١.

(٤٠) انظر: صالح أحمد العلي "تحديد الحجاز عند المتقدمين" **العرب**، ج١، السنة الثالثة، رجب ١٣٨٨هـ، ص ص١- ٩؛ عبدالله الوهيبي "الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب" **مجلة كلية الآداب**، جامعة الملك سعود (الرياض سابقاً)، المجلد الأول، السنة الأولى، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ص ص٥٣- ٧٠؛ وكذلك فإن بكر بن عبدالله أبو زيد جمع ما قيل من تعريفات لجزيرة العرب وكذلك الحجاز عند المتقدمين من اللغويين والفقهاء وغيرهم في فصل من كتابه: **خصائص جزيرة العرب**، الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤١٨هـ، ص ص١٥- ٢٧.

ياقوت: "الحجاز من تخوم صنعاء من العبلاء وتهامة وتبالة إلى تخوم الشام". بل إن إبراهيم الحربي جعل تبوك وفلسطين من الحجاز"[٤١].

وهكذا إذا جاز للباحث التسليم بقول مالك أن المراد بجزيرة العرب أنها المدينة نفسها لأصبح أهل خيبر ووادي القرى ونصارى ويهود نجران خارج جزيرة العرب وحينئذٍ لا ضرورة لإجلائهم من تلك البلدان!! أما إذا قبلنا بصحة تعريف الحجاز لدى إبراهيم الحربي، فإن تبوكاً وفلسطين من الحجاز. لذلك فإنه حتى لو تم إجلاء اليهود والنصارى من نجران وخيبر ووادي القرى إلى تبوك وحتى فلسطين فإنهم لا يزالون في الحجاز، ومرة أخرى يتضح أنه لا ضرورة لإجلائهم أصلاً مادام أنهم ينقلون من موضع لآخر في الإقليم نفسه أي إقليم الحجاز. إضافة إلى ذلك فإن أحد المصادر يرى أن تيماء ووادي القرى داخلتان في أرض الشام وليستا من الحجاز، ولهذا فبعض المصادر الموثوقة مثل موسى بن عقبة والإمام مسلم يؤكدان أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من الحجاز إلى تيماء وأريحاء[٤٢].

وهكذا كلما فحصنا مصادرنا بتمعن ازدادت إشكالية مصطلحات جزيرة العرب والحجاز تعقيداً والتي تنعكس بدورها على حقيقة الأماكن التي أُجلي إليها أهل الذمة في عهد الخليفة عمر.

ولعل الأكثر إرباكاً بهذا الخصوص فتوى الإمام أحمد بن حنبل عندما سئل عن قول النبي ﷺ: "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب" فقال: "هم الذين قاتلوا النبي ﷺ ليست لهم ذمة، ليس هم اليهود والنصارى: أي يخرجون من مكة والمدينة دون الشام. يريد أن اليهود والنصارى يخرجون من مكة والمدينة"[٤٣]. وهذا يعنى بطبيعة الحال عدم

---

(٤١) انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص ص٢١٨ - ٢٢٠.

(٤٢) انظر: موسى بن عقبة، **المغازي**، جمع ودراسة محمد باقشيش أبو مالك، الرباط: مطبعة المعارف، ١٩٩٤م، ص٢٥٢؛ مسلم، **صحيح مسلم**، ج٣، ص ص١١٨٧- ١١٨٨ .

(٤٣) انظر: محمد أبي بكر الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية، **أحكام أهل الذمة**، تحقيق صبحي الصالح، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠١هـ، ج١، ص١٧٧.

جواز إخراج أهل الذمة من اليهود والنصارى من بقية بلدان جزيرة العرب مثل: خيبر وفدك ووادي القرى ونجران!!.

٥ - روايات الإجلاء عند المؤرخين:

إجلاء يهود خيبر:

تضاربت آراء المؤرخين في الأسباب التي أوردوها بشأن إجلاء الخليفة عمر بن الخطاب لأهل الذمة من سكان جزيرة العرب، ولكن يلاحظ أنه على الرغم من اختلاف الأسباب التي أوردها كل مؤرخ من أولئك إلا أنهم شبه متفقين على استبعاد السبب الديني كحافز مقدم على سواه وراء عملية الإجلاء، بل إنهم لا يكادون يذكرون شيئاً من أمر الأحاديث التي تذكر وجوب إجلاء اليهود والنصارى من جزيرة العرب، وإن ذكر شيء من تلك الأحاديث فإنما يأتي عرضاً في رواياتهم وليست مقصودة لذاتها، ومن المؤرخين الذين تحدثوا عن موضوع إجلاء عمر لأهل الذمة، مثلاً: ابن هشام (ت ٢١٨هـ) الذي قدم لنا روايتين عن إجلاء عمر لأهل خيبر، فالرواية الأولى نقلها عن ابن إسحاق عن ابن شهاب ومضمونها أنه بلغ عمر أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قبض فيه "لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان" ففحص عمر عن ذلك حتى استيقن من صحة الخبر، فأرسل إلى يهود وقال لهم "إن الله أذن في جلائكم فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ فليأتني به أنفذه له، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ فليتجهز للجلاء، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ منهم"[٤٤]. ويستشف من هذه الرواية أن بعض يهود خيبر قد بقوا بها لقول ابن

---

(٤٤) انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ٣/٣٨٧- ٣٨٨؛ محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، د: ت، ج٣، ص٢١؛ صالح موسى درادكة، **العلاقات العربية اليهودية**، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م، ص٣٩٦.

شهاب: فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله منهم[٤٥].

أما الرواية الثانية التي أوردها ابن هشام نقلاً عن ابن إسحاق بسنده عن عبدالله ابن عمر بن الخطاب، فهي لا تشير لحديث "لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان" لا من قريب ولا من بعيد!

فقد قام عمر بن الخطاب خطيباً، فقال: أيها الناس، إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أن نخرجهم إذا شئنا، وقد عدوا على عبدالله بن عمر ففدعوا يديه، كما قد بلغكم، مع عدوهم على الأنصاري[٤٦] قبله، لا نشك أنهم أصحابه، ليس لنا هناك عدو غيرهم، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به، فإني مخرج يهود، فأخرجهم[٤٧].

والواقدي (ت: ٢٠٧هـ) عندما تحدث عن إجلاء عمر ليهود خيبر في روايته التي ينتهي سندها بسهل بن أبي حثمة عن أبيه، ربط سبب الإجلاء بتحريض يهود خيبر لبعض أعلاج الشام على قتل سيدهم مظهر بن رافع الحارثي[٤٨] حينما مروا بخيبر قادمين من الشام. ثم يضيف الواقدي إلى هذه الحادثة التجاوزات السابقة من اليهود على المسلمين كقتلهم لعبدالله بن سهل زمن النبي ﷺ وكذلك عدوانهم على عبد الله ابن عمر. ولا يوجد في الرواية أدنى إشارة لحديث نبوي يتعلق بإجلاء اليهود أو غيرهم

---

(٤٥) انظر: جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م، ج٦، ص ص٥٤٨، ٦٢٠.

(٤٦) المقصود بالأنصاري الذي قتله يهود خيبر هو: عبدالله بن سهل بن زيد الأنصاري الحارثي، أصيب بخيبر وكان خرج إليها في أصحاب له يمتارون تمراً، فوجد في عين قد كسرت عنقه، ثم طُرح فيها فدفنوه. انظر: علي بن محمد الجزري (ابن الأثير) **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق خليل مأمون شيحا، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ج٢، ص٦١٧.

(٤٧) انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٣، ص٣٨٨؛ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، **كتاب الخراج**، بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص٥١.

(٤٨) مظهر بن رافع بن عدي الأوسي الأنصاري، شهد مظهر أُحداً وما بعدها مع رسول الله ﷺ وأدرك خلافة عمر بن الخطاب. انظر: ابن الأثير، **أسد الغابة**، ج٤، ص١٤٢.

من أهل الذمة. بل إن الواقدي يختم حديث عمر أمام أهل المدينة عن عزمه على إجلاء يهود خيبر قائلاً: "إلا أن يأتي رجل منهم بعهد أو بينة من النبي ﷺ أنه أقره، فأُقره"[٤٩].

وهذه الفقرة الأخيرة من خطاب عمر ربما تفيد أنه كان هناك معاهدة خاصة أو اتفاق استثنائي بين الرسول ﷺ وبعض يهود خيبر وربما بعض البلدان الأخرى في جزيرة العرب التي يتواجد فيها أهل الذمة، إذ وردت إشارة لدى الصولي تتصل بترتيبات الجزية على أهل الذمة بعد عودة الرسول من غزوة تبوك إذ قال: "وقدم المدينة فوضع الجزية على من بالمدينة ومكة وخيبر واليمن ونجران من أهل الذمة، ووضع الجزية على رقابهم على الرجل ديناراً ونحوه"[٥٠]. وجاء في إحدى الروايات أن الرسول ﷺ فرض على نصراني بمكة جزية دينار في السنة[٥١].

وعلى كل حال فإن فرض الجزية على أهل الذمة لم يكن حصانة لهم من الإجلاء إذا اقتضت مصلحة المسلمين ذلك. ويلاحظ على روايات إجلاء يهود خيبر عند ابن شبة (ت ٢٦٢هـ) أنها مرة ترتبط بغدر اليهود بالمسلمين ومرة أخرى تتعلق بسحرهم لعبد الله بن عمر.

ففي الرواية الأولى المسندة إلى ابن جُريج وعامر بن عبد الله بن نسطاس، جاء فيها أن اليهود احتجوا لدى عمر لما أراد إجلاءهم عن خيبر قائلين: ألم يصالحنا النبي على كذا وكذا؟ فقال لهم عمر: إن غدركم ما بدا لله ورسوله، فهذا حين بدا لي إخراجكم منها[٥٢].

---

[٤٩] الواقدي، **المغازي**، ج٢، ص ص٧١٦- ٧١٧.

[٥٠] محمد يحيى الصولي، **أدب الكتاب**، تحقيق محمد بهجت الأثري، مكة؟: دار الباز للطباعة والنشر، د: ت، ص ٢١٤.

[٥١] انظر: عبدالرزاق، **المصنَّف**، ج٦، ٨٦.

[٥٢] عمر بن شبة النميري، **تاريخ المدينة المنورة**، تحقيق فهيم محمد شلتوت، لا توجد معلومات نشر، ج١، ص١٧٨.

والرواية الثانية لدى ابن شبة بسنده عن نافع عن عبد الله بن عمر جاء فيها على لسان عبد الله بن عمر: أن النبي ﷺ دفع خيبر إلى أهلها بالشطر، فلم تزل معهم حياة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر حتى بعثني عمر لأقاسمهم فسحروني فتكوعت يدي فانتزعها عمر منهم[٥٣].

وهكذا فالرواية الأولى تبين لنا أن السبب في إخراج يهود من خيبر هو غدرهم، ولكنها لا توضح طبيعة ذلك الغدر ولا زمن حدوثه؟، أما الرواية الثانية فتشير إلى بعث الخليفة عمر بابنه عبد الله إلى خيبر لمقاسمة يهودها، فسحروه، فتكوعت يداه، فانتزع عمر خيبر من اليهود.

والذي يجب وضعه في الحسبان عند مناقشة هذه الرواية أنه من المستبعد جداً أن يبعث عمر وهو الخليفة ابنه عبد الله لمقاسمة يهود خيبر، فعدل عمر وورعه يمنعانه من أن يجعل ابنه خصيماً للذميين من أهل خيبر؛ ثم لو قُبلت هذه الرواية على علاتها أفلا يجدر بمن يذهب في مهمة رسمية وعلى وجه الخصوص إلى جماعة معادية أن يحتاط لنفسه كأن تذهب برفقته جماعة كبيرة من الأولياء والحراس؟

ثم كيف تمكن اليهود من مبعوث المدينة حتى سحروه؟ وما طبيعة ذلك السحر؟ بل لعل ما ينقض هذه الرواية من أساسها رواية ابن إسحاق عن نافع مولى عبد الله بن عمر بهذا الشأن إذ جاء فيها قول عبد الله بن عمر: "خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها، فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا، قال: فعُدي عليّ من الليل وأنا نائم على فراشي، ففدعت يداى من مرفقي، فلما أصبحت استصرخ عليّ صاحباي، فأتياني فسألاني: من صنع هذا بك؟ فقلت لا أدري؛ قال: فأصلحا من يدي، ثم قدما بي على عمر، فقال هذا عمل يهود ليس لنا هناك عدو غيرهم، فمن كان له مال بخيبر فليحلق به، فإني مخرج يهود، فأخرجهم"[٥٤].

---

(٥٣) ابن شبة، **تاريخ المدينة**، ج١، ص١٨٤.

(٥٤) انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج٣، ص٣٨٨.

وبالموازنة بين هاتين الروايتين يظهر أن الرواية الأخيرة أجدر بالقبول، وإن كان من الصعوبة قبول إجلاء يهود خيبر منها عقوبة لهم على عدوانهم على ابن الخليفة، وكأن القضية قد أصبحت ثاراً شخصياً ينتقم فيه عمر لابنه، وحاشا عمر ذلك ولابد أن هناك أكثر من سبب وراء قرار الإجلاء.

أما البلاذري (ت ٢٧٩هـ) فتوجد لديه روايتان متعارضتان عن سبب إجلاء عمر ليهود خيبر، مضمون الرواية الأولى: أن عبدالله بن عمر بن الخطاب أتى أهل خيبر في حاجة فبيتوه، فأخرجهم عمر منها، وقسمها بين من حضرها من المسلمين[٥٥]. والرواية الثانية تذكر أنه في زمن عمر بن الخطاب ظهر في أهل خيبر الوباء وتعبثوا بالمسلمين، فأجلاهم عمر[٥٦].

وكلا الروايتين لا تقدمان أسباباً مقنعة للإجلاء، لا من حيث الإساءة لابن عمر كما جاء في الرواية الأولى حيث كان بالإمكان معاقبة المسيء وحده وليس العقوبة الجماعية لأهل البلد، ولا كذلك عن طبيعة الوباء ولا عن الجهة التي أُجلي إليها أهل خيبر. ثم إذا كان حقاً قد أجلي يهود خيبر لانتشار الوباء بينهم فلابد أن ذلك الوباء جد خطير فإلى أين أُجلي أولئك؟ ثم أليس في ترحيلهم إلى بلاد أخرى إسهام في نشر ذلك الوباء بين الناس على أوسع نطاق؟ !

ومن الجدير بالذكر أن ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) في معرض حديثه عن خيبر وإجلاء اليهود عنها ذكر أن السبب وراء ذلك هو انتشار الزنا بينهم فأجلاهم عمر إلى الشام[٥٧].

وأحسب أنه حتى لو انتشر الزنا في بعضهم فليس الإجلاء هو العقوبة المناسبة

---

(٥٥) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٤٠.

(٥٦) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٣٤.

(٥٧) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص٤٠٩ - ٤١٠.

لمثل ذلك السلوك الشائن إذ هناك ضوابط شرعية وحدود مقننة لعقوبة الزنا كان حريّاً بولي الأمر اتخاذها.

وجاء عند اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ) أن قتل مظهر بن رافع الحارثي كان السبب وراء إخراج عمر ليهود خيبر من الحجاز، فإن عمر لما بلغه مقتل اليهود لمظهر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا يجتمع في جزيرة العرب دينان" فأخرج عمر اليهود من الحجاز[٥٨]. يلاحظ على هذه الرواية أن السبب الرئيس لإجلاء يهود خيبر هو قتلهم لمظهر بن رافع، وأن الاستشهاد بالحديث جاء لتقوية قرار الإجلاء، أي أنه عامل ثانوي. والغريب في الأمر أن عمر لا يتذكر حديث "لا يجتمع بجزيرة العرب دينان" إلا في حادثة مقتل مظهر بن رافع!!

من خلال هذا العرض الوجيز لروايات المؤرخين عن إجلاء يهود خيبر يتبين بوضوح أن المؤرخين ذكروا أسباباً تختلف عما جاء في روايات المحدثين، إذ إنهم قلما يشيرون إلى حديث نبوي يتعلق بإجلاء اليهود أو أهل الكتاب من جزيرة العرب لأسباب دينية، بل إنهم كثيراً ما يربطون قرار الإجلاء بتجاوزات فردية قام بها بعض يهود خيبر ضد بعض المسلمين مثل بعض جرائم القتل والتعدي أو انتشار بعض الأوبئة بينهم أو الجرائم الأخلاقية كالزنا، علماً أن السببين الأخيرين هما أضعف الأسباب أو المسوغات لإجلاء اليهود من خيبر.

ولعل أقوى الأسباب منطقاً وأكثرها قبولاً هو ما جاء عند ابن سعد رواية عن يزيد بن هارون[٥٩]: أنه في زمن عمر بن الخطاب كثر في أيدي المسلمين العمال وقووا

---

[٥٨] اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص١٥٥.

[٥٩] يزيد بن هارون: ويقال زاذان بن ثابت السلمي مولاهم، أبو خالد الواسطي أحد الأعلام الحفاظ المشاهير، قيل: أصله من بخارا وذكره ابن حبان في الثقات. وتوفي في سنة ٢٠٦هـ في خلافة المأمون. انظر: أحمد بن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، تحقيق خليل مأمون شيحا وآخرون، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٧هـ، ج٦، ص ص٢٢٤- ٢٢٦.

على عمل الأرض فأجلى عمر اليهود إلى الشام(٦٠). وكان ذلك في سنة عشرين للهجرة كما ذكر الواقدي(٦١).

وعلى كل حال ربما كانت الأسباب الأمنية والاقتصادية هي أقوى الأسباب وراء إجلاء يهود خيبر. وقد ذكر مالك أن يهود خيبر أخرجوا منها ليس لهم من الثمر ولا من الأرض شيء(٦٢) وهذا أمر يصعب قبوله إذ أنه يغمط يهود خيبر حقهم من عمارة الأرض، ولابد أنهم قد حصلوا على تعويض مناسب، فقد ذكر البخاري في صحيحه عن ابن عمر: أن عمر أعطى يهود خيبر قيمة ما كان لهم من الثمر، مالاً وإبلاً وعروضاً من أقتاب وغير ذلك(٦٣) ثم سيرهم إلى الشام(٦٤).

ويظهر أن هناك خلافاً حول الجهة التي أبعد إليها يهود خيبر ففي الوقت الذي يذكر فيه كل من ابن سعد وابن شبة أنهم أجلوا إلى الشام(٦٥). نجد رواية لدى كل من موسى بن عقبة ومسلم تقول إن عمر أجلى يهود خيبر إلى تيماء وأريحاء(٦٦).

---

(٦٠) ابن سعد، **الطبقات**، ج٢، ص ص١١٣- ١١٤؛ ابن شبة، **تاريخ المدينة**، ج١، ص١٨٨؛ أبوعبيد، **كتاب الأموال**؛ حميد بن زنجويه، **كتاب الأموال**، تحقيق شاكر ذيب فياض، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ج١، ص١٨٩؛ وقارن: L.Veccia Vaglieri, art "FADAK" in the Encyclopaedia of Islam, Leiden .: E.J.Brill, 1978, IV, pp. 725-727.

(٦١) انظر: الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج٤، ص ص١١٢- ١١٣.

(٦٢) مالك، **الموطأ**، ص٨٩٣ (حديث: ١٩، كتاب الجامع)؛ وانظر: .L. Veccia, Vaglieri, art. "FADAK", pp.725-727

(٦٣) البخاري، **صحيح البخاري**، ص٥٤٨ (حديث: ٢٧٣٠).

(٦٤) ابن شبة، **تاريخ المدينة**، ج١، ١٨٨، ١٩١.

(٦٥) ابن سعد، **الطبقات**، ج٢، ص١١٤؛ ابن شبة، **تاريخ المدينة**، ج١، ص ص١٨٨، ١٩١.

(٦٦) موسى بن عقبة، **المغازي**، ص ٢٥٢؛ مسلم، **صحيح مسلم**، ج٣، ص ص١١٨٧- ١١٨٨ (حديث: ١٥٥١/٦).

٦ - إجلاء يهود فدك ووادي القرى وتيماء:

أ - الإجلاء في روايات المحدِّثين:

في حقيقة الأمر لا نجد في روايات المحدِّثين ما يدل على وجوب إجلاء يهود فدك ووادي القرى وتيماء، وربما أن صاحب القرار وهو في هذه الحالة الخليفة عمر إرتأى أن حديث "لا يترك بجزيرة العرب دينان"[٦٧]. وكذلك حديث: "أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب"[٦٨] هما حديثان كافيان من حيث الدلالة على وجوب إخراج اليهود من تلك الأمكنة. علماً بأنهم مع ذلك لم ينقضوا عهداً ولم يخرجوا عن الطاعة، بل لم يرتكبوا جرماً كما فعل أهل خيبر، ولكن على الرغم من ذلك فإنهم أجلوا من ديارهم في الوقت نفسه الذي تم فيه إجلاء يهود خيبر.

ب - الإجلاء في روايات المؤرخين:

لما انتهى عمر بن الخطاب من أمر خيبر وأجلى يهودها عنها، وقسمها بين أصحاب السهمان فيها من المسلمين، توجه إلى فدك ومعه جبار بن صخر وزيد بن ثابت، وهما قاسما المدينة وحاسباها، فأقاما نخل فدك وأرضها، ودفع عمر إلى يهود فدك نصف[٦٩] القيمة، فبلغ ذلك خمسين ألف درهم أو يزيد[٧٠].

وقيل إن عمر أعطاهم قيمة نصف الأرض ذهباً وورقاً وإبلاً وحبالاً وأقتاباً[٧١].

ويظهر أنه فور الانتهاء من أمر فدك، توجه الخليفة إلى وادي القرى، فقسمها

---

(٦٧) ابن حنبل، **المسند**، ج٦، ص٢٧٥.

(٦٨) ابن حنبل، **المسند**، ج١، ص١٩٦.

(٦٩) لقد أعطى عمر أهل فدك نصف قيمة أرضهم، لأن أهل فدك كانوا قد أرسلوا إلى رسول الله ﷺ فبايعوه على أن لهم رقابهم ونصف أرضهم، ولرسول الله ﷺ شطر أرضهم ونخلهم. انظر: ابن شبه، **تاريخ المدينة**، ج١، ص١٩٥.

(٧٠) ابن شبه، **تاريخ المدينة**، ج١، ص ص١٩٥- ١٩٦؛ وقارن: مالك، **الموطأ**، ص٨٩٣؛ ابن زنجويه، **كتاب الأموال**، ج١، ص٩٥.

(٧١) انظر: مالك، **الموطأ**، ص٨٩٣؛ ابن زنجوية، **كتاب الأموال**، ج١، ص٩٥.

بين المسلمين، وقد أرفق ابن إسحاق مع خبر قسمة وادي القرى قائمة طويلة نسبياً بأسماء من نالهم نصيب منها(٧٢).

واختلف في أمر أهلها من اليهود، فقيل إن عمر أجلى يهودها، وقيل إنه لم يجلهم، لأن وادي القرى خارجة من الحجاز(٧٣). وإن كان قد وقع عليهم الجلاء فلا نعلم الجهة التي أُجلوا إليها سوى إشارة عند الواقدي في معرض حديثه عن قسمة عمر لوادي القرى أسهماً بين الناس، إذ قال: ثم أجلى عمر يهود الحجاز(٧٤).

أما ما يخص تيماء فليس لدينا من المعلومات ما يُعتد به في شأنها ومصير يهودها، سوى بعض الروايات المتضاربة التي لا تفيد بشيء اللهم إلا زيادة في الغموض والاضطراب، من ذلك ما روي عن عمر بن عبد العزيز، أن عمر بن الخطاب: أجلى أهل فدك وتيماء وخيبر(٧٥). ولعل ما يتعارض مع هذا الخبر ما جاء عند البخاري ومسلم في صحيحيهما، من أن عمر أجلى يهود خيبر إلى تيماء وأريحاء(٧٦). وأخيراً فقد جاء عند ياقوت في معجمه: أنه لما أجلى عمر اليهود عن جزيرة العرب أجلى يهود تيماء معهم(٧٧).

أما الدارسون المحدثون فإن بعضهم يرى أن عمر لم يتعرض ليهود وادي القرى وتيماء بسوء لأنه كان هناك عقود خاصة لم تسمح للخليفة بإخراجهم من بلادهم،

---

(٧٢) انظر ابن هشام، **السيرة النبوية**، ٣٨٩/٣؛ الواقدي، **المغازي**، ج٢، ص٧٢١.

(٧٣) البلاذري، فتوح **البلدان**، ص٤٧؛ محمد بن محمد بن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، بيروت: دار المعرفة، د: ت، ج٢، ص١٤٤؛ صالح درادكة، **العلاقات العربية**، ص٣٩٣.

(٧٤) انظر الواقدي، **المغازي**، ج٢، ص ص٧٢٠- ٧٢١.

(٧٥) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٤٨؛ ابن سيد الناس، **عيون الأثر**، ج٢، ص١٤٥.

(٧٦) انظر: البخاري، **صحيح البخاري**، ص٤٦٢ (حديث: ٢٣٣٨)؛ مسلم، **صحيح مسلم**، ١١٨٧/٣- ١١٨٨.

(٧٧) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ٦٧/٢.

وذلك على نقيض ما يعتقده بعض مؤرخي العرب من أن تيماء ووادي القرى لم تكن من أرض الحجاز[٧٨]. ورأي آخر يقول إن عمر أبقى على يهود وادي القرى لأسباب سياسية حيث إن أولئك اليهود لم يكونوا على قدر من القوة بحيث يخشى خطرهم بل على العكس من ذلك كانوا يعتمدون في بقائهم على حلفائهم من القبائل العربية القوية[٧٩].

مما تقدم يمكن القول إن إجلاء يهود وادي القرى وتيماء لا يزال محل خلاف، وإن كانت قد أُجليت طائفة منهم فقد بقيت طوائف أخرى ففي حديث المقدسي (ت ٣٩٠هـ تقريباً)، عن وادي القرى ذكر أنه " ليس بالحجاز -اليوم- بلد أجل وأعمر وآهل، وأكثر تجاراً وأموالاً وخيرات بعد مكة من هذا -أي-وادي القرى- وقال والغالب عليها اليهود[٨٠].

٧ - إجلاء اليهود والنصارى من نجران:

أ - الإجلاء في روايات المحدِّثين:

فيما يتعلق بروايات المحدِّثين المتصلة بإجلاء أهل الذمة من نجران يلاحظ عليها القلق كما يلاحظ عليها كذلك أنها تتعلق بيهود نجران ولا تذكر شيئاً عن نصارى نجران! فقد جاء عند الدارمي بسنده عن أبي عُبيدة عامر بن الجراح، أن آخر ما تكلم به النبي ﷺ أن قال: "أخرجوا اليهود من الحجاز وأخرجوا أهل نجران من جزيرة

---

(٧٨) إسرائيل ولفنسون، **تاريخ اليهود في بلاد العرب**، مصر: مطبعة الاعتماد، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٧م، ص ص١٨٣-١٨٤؛ وقارن: صالح درادكة، **العلاقات العربية**، ص٣٩٣.

(٧٩)

A. AL-Wohaibi, **The Northern Hijaz in the Writings of the Arabs Geographars** 800 - 1150, Beirut, AL-Risalah, 1973, p. 300.

(٨٠) انظر: محمد بن أحمد البشاري المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق محمد مخزوم، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٠٨هـ، ص ص٨٣ - ٨٤.

العرب"[81] وجاء في رواية أخرى قوله ﷺ: "أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب"[82]. وفي حديث الإمام مالك عن إجلاء الخليفة عمر بن الخطاب ليهود خيبر وفدك ونجران، قال: "وقد أجلى عمر بن الخطاب يهود نجران"[83].

ومن الواضح هنا أن مالكاً لم يشر بشيء عن إجلاء نصارى نجران وفي حقيقة الأمر فإنه يظهر للمدقق في هذه الروايات أن حديث " أخرجوا يهود أهل الحجاز" وكذلك حديث: أخرجوا اليهود من الحجاز "هما حديث واحد جاء بألفاظ متقاربة ينص صراحة على وجوب إخراج اليهود من الحجاز، ولا إشكال في فهم ذلك. وكذلك الإشارة إلى أهل نجران في الحديثين المشار إليهما ربما أنها تعني يهود نجران على وجه التحديد. ووجه الإشكال هنا أننا لا نعلم أنه كان في نجران على عهد رسول الله ﷺ جماعة كبيرة من اليهود حتى تستحق من النبي ﷺ هذا الاهتمام! يضاف إلى ذلك أنه في عام الوفود بعد غزوة تبوك مباشرة تقاطرت العشرات من وفود القبائل والبلدان في جزيرة العرب لمبايعة رسول الله ﷺ ولم نسمع شيئاً عن وفد يهود نجران. حتى إن وفد نصارى نجران الذي قدم على رسول الله ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة، لم يذكر شيئاً عن يهود نجران ولم يتكلم باسمهم أمام رسول الله ﷺ. بل إن يهود نجران كما يذكر البلاذري كانوا في ذلك الوقت أقلية لا يؤبه لها، وقد دخلوا في الصلح مع النصارى، وهم كالأتباع لهم[84]. ولعل ما يزيد الأمر إشكالاً أننا لا نجد عند المحدِّثين شيئاً عن نصارى نجران ووجوب إجلائهم منها.

ولكن لعل الأحاديث العامة التي ذكرت اليهود والنصارى دون تخصيص جماعة منهم بعينها قد فهم منها أنها تشمل نصارى نجران كذلك. ومن هذه الأحاديث، قول

(81) الدارمي، **السُنن**، ج٢، ص٣٠٥ - ٣٠٦؛ أبو عبيد، **كتاب الأموال**، ١٠٨.

(82) ابن حنبل، **المسند**، ج١، ص١٩٦.

(83) مالك، **الموطأ**، ص٨٩٣.

(84) انظر: البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٨٩.

النبي ﷺ: "لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً"[(٨٥)]. وقوله ﷺ "لا يبقين دينان بأرض العرب"[(٨٦)].

ب - الإجلاء في روايات المؤرخين:

أما المؤرخون فإن لديهم الشيء الكثير الذي يقولونه عن أسباب إجلاء عمر بن الخطاب لأهل الذمة في نجران يهوداً ونصارى، ولكن يغلب على معظم تلك الروايات الإضطراب وعدم الدقة في بعض الأحيان، ويمكن للقارئ ملاحظتها دون عناء.

من ذلك ما جاء في حديث الطبري عن موقف أهل نجران إثر وفاة الرسول ﷺ، قال: لما بلغ أهل نجران وفاة رسول الله ﷺ وهم يومئذٍ أربعون ألف مقاتل، من بني الأفعى، الأمة التي كانوا بها قبل بني الحارث، بعثوا وفداً لأبي بكر ليجددوا عهداً، فقدموا إليه فكتب لهم كتاباً:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ لأهل نجران، أجارهم من جنده ونفسه وأجاز لهم ذمة محمد ﷺ إلا ما رجع عنه محمد رسول الله ﷺ بأمر الله عز وجل في أرضهم وأرض العرب؛ ألا يسكن بها دينان؛ أجارهم على أنفسهم بعد ذلك وملتهم وسائر أموالهم وحاشيتهم وعاديتهم، وغائبهم وشاهدهم، وأسقفهم ورهبانهم وبيعهم حيثما وقعت وعلى ما ملكت أيديهم من قليل أو كثير؛ عليهم ما عليهم فإذا أدوه فلا يحشرون ولا يعشرون ولا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ووفي لهم بكل ما كتب لهم رسول الله ﷺ[(٨٧)].

وهذا الكتاب بكل ما فيه من غموض وخاصة فيما يتعلق بعهد النبي ﷺ لهم

(٨٥) مسلم، **صحيح مسلم**، ج٣، ص١٣٨٨ (حديث: ١٧٦٧)؛ وقارن الترمذي، **السنن**، ج٤، ص١٥٦ (حديث: ١٦٠٦).

(٨٦) مالك، **الموطأ**، ص٨٩٢.

(٨٧) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج٣، ص ص٣٢١- ٣٢٢.

وما ذكر أبو بكر من رجوعه عنه والإشارة إلى ألا يسكن بأرض العرب دينان، فإنه يتعارض مع كتاب آخر يتحدث عن المناسبة نفسها وهي تجديد أبي بكر العهد لأهل نجران من النصارى.

وليس في هذا الكتاب أي إشارة لرجوع النبي ﷺ عن عهده لهم ولا الإشارة كذلك إلى عدم جواز وجود دينين في أرض العرب!! والذي يفهم من نص الكتاب الأخير أن أبا بكر أجاز عهد رسول الله ﷺ لنصارى نجران ولم يقدم على أي تغيير في سياسة النبي ﷺ تجاههم[٨٨].

كما أن الرواية الأولى المتعلقة برجوع النبي فيما يتعلق ببقاء دينين في أرض العرب لم تبين لنا إذا كان أبو بكر قد أجلاهم فعلاً في ذلك الوقت المبكر أي في السنة الحادية عشرة للهجرة، ثم إذا كان حصل إجبار لنصارى نجران على الجلاء منها فإلى أين ذهبوا؟ وإذا كانوا كما تقول الرواية أنهم أربعون ألف مقاتل فإنه ليس من السهل إجلاؤهم دون مقاومة لاسيما وأن جيوش أبي بكر كانت تحارب المرتدين آنذاك في أكثر من موقع. لهذا فإن الأمر لا يخلو من غموض.

وفي عهد عمر بن الخطاب يظهر أن بعض نصارى نجران قد أسلموا ثم ارتدوا فكتب لهم كتاباً يحذرهم فيه من مغبة الردة، جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، من عمر أمير المؤمنين إلى أهل رُعاش، كلهم سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فأنتم زعمتم أنكم مسلمون ثم ارتددتم بعد، وإنه من يتب منكم ويصلح لا يضره ارتداده ونصاحبه صحبة حسنة، فاذكروا ولا تهلكوا وليبشر من أسلم منكم. فمن أبى إلا النصرانية فإن ذمتي بريئة ممن وجدناه -بعد عشر تبقى من شهر الصوم- من النصارى بنجران، أما بعد: فإن يعلى كتب يعتذر أن يكون أكره أحداً منكم على الإسلام أو عذبه عليه، إلا أن يكون قسراً جبراً ووعيداً لم ينفذ إليه

(٨٨) انظر: حميدالله، **مجموعة الوثائق**، ص ص١٩١- ١٩٢، وثيقة (٩٨)؛ وقارن: البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٨٨.

منه شيء. أما بعد: فقد أمرت يعلى أن يأخذ منكم نصف ما عملتم من الأرض وإني لن أريد نزعها منكم ما أصلحتم"[٨٩].

يظهر من سياق هذا الكتاب أن الردة في نجران كانت محدودة في موضع يعرف بـ "رعاش" لذلك فإنه لابد أن كتاب عمر كان موجهاً لجماعة بعينها من أهل نجران وليس لنصارى نجران على العموم لذلك فالخليفة عمر يخيرهم بين العودة إلى الإسلام أو الجلاء في موعد أقصاه العشرون من رمضان، دون ذكر السنة وهذا يزيد الأمر صعوبة وغموضاً إذ لا يُعلم في أي عام وقعت الردة ومتى كان الجلاء.

أما الجزء الثاني من الخطاب الذي وردت فيه الإشارة إلى عامل عمر على نجران وهو يعلى بن أمية، فيتبين من سياقه أنه ربما كان خطاباً مستقلاً لا صلة له بالخطاب الأول فهو يعالج أمر قوم من نصارى نجران ربما أكرهوا على الإسلام بواسطة التهديد والوعيد، ويحاول عمر في ذلك الكتاب طمأنتهم على أموالهم ويخبرهم أنه فرض عليهم ضريبة النصف من ناتج عملهم (٥٠٪) ! في الأرض، ويتعهد لهم بعدم نزع أرضهم منهم ماداموا صالحين. والخليفة في هذه الوثيقة لا يشير إلى احتمال إجلائهم من أرضهم، ثم إذا كان خيرهم بين الإسلام أو الجلاء ولا خيار ثالث بينهما فلماذا يفرض عليهم ضريبة نصف عملهم ؟ وإذا كان عمر قد أجلى نصارى رعاش حقاً فمتى وإلى أين ذهبوا.

وذكر الطبري بسند طويل أن عمر بعث يعلى بن أمية إلى اليمن عام ١٣هـ وأمره بإجلاء أهل نجران، لوصية رسول الله ﷺ في مرضه بذلك، ولوصية أبي بكر في مرضه، وقال: ائتهم ولا تفتنهم عن دينهم ثم أجلهم، وأعلمهم أنا نجليهم بأمر الله ورسوله؛ ألا يترك بجزيرة العرب دينان؛ فليخرجوا[٩٠].

---

(٨٩) انظر: حميدالله، **مجموعة الوثائق**، ص ص١٩٢- ١٩٣، وثيقة (٩٩).

(٩٠) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج٣، ص٤٤٦؛ واللافت للنظر أن حميدالله لم يشر إلى هذه الوثيقة ضمن الوثائق الكثيرة التي حفلت بها مجموعته. انظر: الوثائق (٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١).

وليس في هذا النص ما يفيد صراحة ما المقصود بأهل نجران إذ إن نجران في ذلك الوقت كانت مأهولة بالمسلمين والنصارى واليهود. وإذا كان من المستبعد إجلاء المسلمين من أرضهم، فليس من السهل تعيين أي الفريقين من أهل الكتاب يتوجب إجلاؤهم لاسيما وأن نصارى نجران سبق وأن وفدوا على رسول الله ﷺ في السنة العاشرة وأقروا له بدفع الجزية، وكتب لهم كتاباً يؤمنهم فيه على أرواحهم ودينهم[٩١]. ثم إنه بعد وفاة رسول الله ﷺ جدد لهم أبو بكر عهدهم مع رسول الله ﷺ[٩٢].

وإذا كان الأمر كذلك فإن من الجائز جداً أن يكون الذين أخرجوا من نجران في المرة الأولى هم اليهود، خاصة إذا وضعنا بالحسبان حديث رسول الله ﷺ الذي ينص على الأمر بإخراج يهود نجران من جزيرة العرب. وهذا الرأي ربما يتعارض مع ما ذهب إليه أحد الدارسين القائل أن الذين أخرجهم عمر في السنة الثالثة عشرة هم نصارى نجران[٩٣]. ويبقى السؤال إلى أين أجلي هؤلاء إن كان وقع الجلاء حقاً؟

ولعل ما يزيد الأمر اضطراباً رواية للواقدي عند الطبري يذكر فيها أن عمر بن الخطاب أجلى يهود نجران إلى الكوفة في سنة عشرين من الهجرة[٩٤]. وتختلط الأمور على ابن حبان فيذكر أنه في هذه السنة أي سنة (٢٠هـ) أخرج عمر يهود الحجاز من نجران إلى الكوفة[٩٥].

أما البلاذري فلديه روايتان عن إجلاء أهل نجران، الأولى يتصل سندها بعمر بن عبدالعزيز ومضمونها أنه لما استخلف عمر بن الخطاب أجلى أهل نجران إلى النجرانية

---

(٩١) انظر: البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ص٨٥- ٨٨.

(٩٢) انظر: حميدالله، **مجموعة الوثائق**، ص ص١٩١- ١٩٢، وثيقة (٩٨).

(٩٣) سلوى بالحاج صالح، **المسيحية العربية وتطوراتها**، بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٨م، ص١٤٤.

(٩٤) انظر: الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج٤، ص١١٢.

(٩٥) محمد بن حبان التميمي البستي، **السيرة النبوية وأخبار الخلفاء**، تحقيق السيد عزيز بك وآخرون، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٧هـ، ص٤٨١.

(بالكوفة) واشترى عقاراتهم وأموالهم[٩٦]. ولكن الرواية لا تفصح لنا عن المقصود بأهل نجران: هل هم اليهود أم النصارى؟ ومتى كان الإجلاء؟

والرواية الأخرى عند البلاذري نقلاً عن سالم بن أبي الجعد قال فيها: كان أهل نجران قد بلغوا أربعين ألفاً فتحاسدوا بينهم فأتوا عمر بن الخطاب، فقالوا: أجلنا وكان عمر قد خافهم على المسلمين فاغتنمها فأجلاهم، فندموا بعد ذلك وأتوه، فقالوا: أقلنا فأبى ذلك[٩٧].

ولا يزال الغموض يلف هذه الروايات إذ لم يتبين منها ما المقصود بأهل نجران الذين تم إجلاؤهم. ولكن ربما كان في حديث البلاذري عن أول من أعطى الجزية ما يكشف الغموض حينما قال: "أول من أعطى الجزية من أهل الكتاب أهل نجران فيما علمنا وكانوا نصارى"[٩٨].

وعلى الرغم مما في هذه الرواية من إشكال يتعلق بأول من أعطى الجزية من أهل الكتاب إلا أنها ربما أفادت أن المقصود بأهل نجران هم النصارى. علماً بأن نصارى نجران لم تفرض عليهم جزية رؤوس بل عوملوا بموجب اتفاق خاص[٩٩].

وإذا أصبح الأمر واضحاً فيما يتصل بأهل نجران وأن المقصود بهم النصارى، فيبقى من العسير على الباحث قبول عددهم في ذلك الوقت وأنهم أصبحوا أربعين ألفاً، فلابد أن الأمر لا يخلو من مبالغة ويبقى الأمر أكثر صعوبة في فهم طلبهم من الخليفة عمر أن يجليهم من ديارهم بسبب التحاسد بينهم، لذلك فالرواية لا تخلو من التكلف والصنعة.

---

(٩٦) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٩٠.

(٩٧) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٩٠.

(٩٨) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٩٢ .

(٩٩) انظر: محمد حميدالله، **مجموعة الوثائق**، ص ص١٧٥- ١٧٩، وثيقة (٩٤)؛ مادة "جزية" في **دائرة المعارف الإسلامية**، بقلم، C.H.Becker نقلها إلى العربية: أحمد الشنتناوي وآخرون، بيروت: دار المعرفة، د : ت، ج٦، ص ص٤٥٤- ٤٥٧.

ثم إذا أخذنا برواية الواقدي لدى الطبري القائلة بأن عمر أجلى يهود نجران إلى الكوفة وافترضنا أن المقصود باليهود هم النصارى مع ما في هذا الافتراض من التجاوز، فإنه ليس من الحكمة إحلال أربعين ألفاً من النصارى في مدينة تواً أُحدثت، ربما أصبح عدد النصارى فيها يتجاوز عدد المقاتلة من المسلمين وهذا ما يشكل خطراً كبيراً على المسلمين بسبب اختلال النسبة العددية للسكان ناهيك عن اختلاف دياناتهم لا سيما إذا أدركنا أن الكوفة في بداية نشأتها كانت معسكراً لجيش المسلمين.

إضافة للأسباب السابقة عن إجلاء أهل نجران، أي النصارى، والمكان الذي هاجروا إليه نجد رواية لدى البلاذري لعلها تشى بشيء من الضعف حيث بدأها بقوله: "قالوا": ولما استخلف أبو بكر الصديق ﷺحملهم على ذلك [أي كتاب صلحهم مع النبي ﷺ] فكتب لهم كتاباً على نحو كتاب رسول الله ﷺ، فلما استخلف عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)، أصابوا الربا، وكثروا فخافهم على الإسلام فأجلاهم وكتب لهم: "أما بعد فمن وقعوا به من أهل الشام والعراق فليوسعهم من حرث الأرض وما اعتملوا من شيء فهو لهم مكان أرضهم في اليمن. فتفرقوا فنزل بعضهم الشام، ونزل بعضهم النجرانية بناحية الكوفة وبهم سميت[(١٠٠)].

وجاء عند أبي يوسف سبب آخر لإجلاء نصارى نجران، قال: "كان عمر (رضي الله عنه) أجلاهم لأنه خافهم على المسلمين وقد كانوا اتخذوا الخيل والسلاح في بلادهم، فأجلاهم عن نجران اليمن وأسكنهم نجران العراق"[(١٠١)].

من كل ما تقدم بخصوص إجلاء نصارى نجران ويهودها يظهر أن الروايات غير متفقة على سبب واحد في إجلائهم، لذلك فيمكن الجمع بين أكثر من سبب فربما أن كثرتهم وقوتهم قد أفزعت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فخافهم على المسلمين حيث

---

(١٠٠) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ص٨٨ – ٨٩.

(١٠١) أبو يوسف، **كتاب الخراج**، ص٧٤.

إنهم يتحكمون بالطريق بين الحجاز واليمن. وربما كان حديث : "لا يجتمع بجزيرة العرب دينان" مسوغاً وجيهاً لتنفيذ سياسة الإجلاء.

أما أنهم هم أنفسهم تقدموا للخليفة بطلب إجلائهم من بلادهم فهو أمر مستبعد ، وكذلك القول أن الربا انتشر بينهم وكان سبباً في إجلائهم يظل قولاً يقبل المناقشة إذ إنه لا يفترض أن كل نصارى نجران تعاملوا بالربا ، فلابد أن ذلك التعامل إن كان قد وقع فعلاً فهو بين جماعة منهم ولا يجوز إيقاع العقوبة الجماعية بنصارى نجران أجمعين. ثم إنه مادام أهل نجران أهل جزية فإنه كما جاء في أحد المصادر : "لا يعترض لهم في أحكامهم ولا متاجرتهم فيما بينهم بالربا"[١٠٢].

ويظهر كذلك أن نجران الكوفة أحد المنازل التي استوطنها بعضهم وليس كلهم إذ إن إقامتهم لم تكن محدودة ببلدة بعينها بل انتشروا في العراق والشام[١٠٣]. وهذا أمر يمكن تفهمه.

ويبدو من بعض الروايات أن عمر بن الخطاب قد قدم تعويضاً مناسباً لمن وقع عليهم الجلاء من أهل نجران نصاراها ويهودها حيث اشترى منهم عقاراتهم وأموالهم كما عوضهم عن أراضيهم بنجران بأراضي أخرى في أماكن استيطانهم الجديدة[١٠٤].

وعلى كل حال فإنه يجب ألا يغيب عن البال أن إجلاء غير المسلمين من أهل نجران لم يكن شاملاً بل ربما كان الإجلاء قد وقع على طائفة منهم بدليل أن غير

---

(١٠٢) انظر: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق صدقي جميل العطار والشيخ عرفان العشا، بيروت: دار الفكر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، مج٤، ٨/ ٣٩.

(١٠٣) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ص٨٩ - ٩٠.

(١٠٤) انظر: البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ص٨٩- ٩٠؛ وقارن حميد الله، **مجموعة الوثائق**، ص ص١٩٣- ١٩٤، وثيقة (١٠٠)؛ الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج٣، ص٤٤٦؛ مصطفى فايدة، "إجلاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه لغير المسلمين من نجران وخيبر وما جاورهما" ج٢، ص٣٠٩.

المسلمين كانوا موجودين في نجران في القرن الثالث الهجري[105]. بل إن ابن المجاور الجغرافي المعروف، تحدث عن نجران في القرن السابع الهجري، فقال إن أهلها ينقسمون إلى ثلاث ملل، ثلث يهود، وثلث نصارى وثلث مسلمين[106]. ولابد من النظر إلى هذه الرواية بشيء من التحوط بسبب هذه النسب المتساوية لسكان نجران.

ومادام الأمر كذلك فإنه يمكن القول إن العلاقة بين الأحاديث النبوية المتعلقة بإجلاء غير المسلمين، وما فعله عمر من إجلاء لبعضهم من يهود ونصارى تظل علاقة ضعيفة ولا تصمد أمام النقد[107]، إذا لو كانت الأحاديث تلك ذات أهمية دينية حاسمة بالنسبة لإجلاء غير المسلمين من جزيرة العرب لما احتاج عمر إلى ثماني سنوات حتى ينفذ هذا الأمر، بل لو كان الأمر على درجة بالغة من الأهمية والخطورة لكان الخليفة أبو بكر هو السبَّاق لوضع أوامر رسول الله ﷺ موضع التنفيذ ولقام بإجلاء غير المسلمين من الحجاز ونجران وما جاورهما فور توليه أمر المسلمين.

من كل ما تقدم يمكن الزعم أن الروايات المتعلقة بإجلاء غير المسلمين من نجران تظل أكثر ضبابية من إجلاء يهود خيبر ووادي القرى إذ إن التناقض بارز بين روايات المحدِّثين وروايات المؤرخين ففي الوقت الذي تؤكد فيه روايات المحدثين على وجوب إخراج يهود نجران من جزيرة العرب نجد أن روايات المؤرخين تتحدث بوضوح لا لبس فيه عن إخراج نصارى نجران من جزيرة العرب، وقلما نجدها تتحدث عن يهود نجران اللهم إلا بعض الروايات القليلة المضطربة والمرتبكة التي نصادفها عند الطبري أو البستي والتي سرعان ما تنهار أمام النقد. وكذلك فيما يتعلق بالمواطن الجديدة لنصارى

---

(105) انظر: فايدة، "إجلاء عمر بن الخطاب ﷺ لغير المسلمين"، ص٣٠٤.

(106) انظر: ابن المجاور، **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر**، مراجعة ممدوح حسن محمد، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٦م، ص٢٣٨.

(107) انظر: فايدة، "إجلاء عمر بن الخطاب ﷺ لغير المسلمين"، ص٣٠٤ ؛ وقارن: جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب**، ج٦، ص ص٦٢٠ – ٦٢١.

نجران ويهودها، فنجدها أحياناً تنحصر في مكان واحد كالكوفة، وأحياناً أخرى نجدهم منتشرين في العراق والشام، وأخيراً يفاجأ القارئ أن اليهود والنصارى أصبحوا في القرن السابع الهجري يشكلون نسبة الثلثين من سكان نجران أي أن المسلمين ظلوا أقلية في تلك المدينة، وهذا الوضع يشكك في مدى دقة روايات إجلاء عمر لغير المسلمين من أهل نجران.

٨ - أهل الذمة في بعض أنحاء الجزيرة العربية:

تناولت الدراسة فيما تقدم من هذا البحث سياسة عمر بن الخطاب تجاه أهل الذمة في كل من خيبر وفدك ووادي القرى وتيماء ثم نجران وتبين من ذلك ما آل إليه مصير تلك الجماعات، ولكن على الرغم من هذا فقد بقيت بعض البلدان آهلة ببعض أهل الذمة من يهود ونصارى ومجوس ولم تذكر لنا المصادر الإسلامية شيئاً عن مصيرهم في حملة عمر المشهورة القائمة على الإجلاء حتى لا يبقى في جزيرة العرب دينان.

ومن ذلك مثلاً أهل تبالة[١٠٨] وجُرش[١٠٩]، فقد أسلم أهل هاتين البلدتين دون قتال فأقرهم رسول الله ﷺ على ما أسلموا عليه، وجعل على كل حالم ممن بها من أهل الكتاب ديناراً واشترط عليهم ضيافة المسلمين[١١٠].

ونحن كذلك لا نعلم شيئاً عن يهود الطائف الذين سبق وأن طردوا من اليمن

---

[١٠٨] تبالة: بالفتح، بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن. انظر، الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص ص٩- ١٠، وقد اندثرت تبالة وموضعها معروف الآن بالقرب من بيشة في المملكة العربية السعودية.

[١٠٩] جُرش: بضم الجيم وفتح الراء وآخره شين معجمة، من المدن المعروفة في عهد النبي ﷺ وحتى القرن الرابع الهجري، ثم اندثرت، وتوجد آثارها اليوم قرب خميس مشيط [في المملكة العربية السعودية]. انظر: عاتق البلادي، **معجم المعالم الجغرافية**، ص ص٨١- ٨٢.

[١١٠] انظر: البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٧٩.

ويثرب، فأقاموا بالطائف للتجارة ووضعت عليهم الجزية، وقد ابتاع من بعضهم معاوية بن أبي سفيان أمواله بالطائف[١١١]. ما مصير هذه الجماعة هل أ جليت من الحجاز أم بقيت هناك؟

ولما أسلم أهل اليمن، وجه إليهم رسول الله ﷺ رسله وعماله لتعريفهم شرائع الإسلام وسننه وقبض صدقاتهم، وفرض الجزية على رؤوس من أقام منهم على النصرانية واليهودية والمجوسية[١١٢]. وكان مقدار الجزية دينارا على كل حالم أو عدل ذلك من المعافر[١١٣] بل وكان في عهد رسول الله ﷺ لأهل اليمن أن لا يفتن يهودي عن يهوديته[١١٤].

وكذلك الحال مع غير المسلمين من أهل البحرين، فقد كتب النبي ﷺ مع العلاء ابن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى وإلى سيبخت مرزبان هجر يدعوهما إلى الإسلام أو الجزية، فأسلما وأسلم معهما جميع العرب هناك وبعض العجم. وأما أهل الأرض من المجوس واليهود والنصارى فإنهم صالحوا العلاء، فكانت جزية رؤوسهم أنه على كل حالم دينار[١١٥]. ولم يطرأ أي تغير في سياسة المسلمين تجاه أهل الذمة في البحرين، فقد أقرهم أبو بكر ثم أقرهم عمر وأقرهم عثمان بعد ذلك[١١٦]. ولم نسمع عن إجلاء لهم.

---

(١١١) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٧٥.

(١١٢) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٩٢- ٩٣.

(١١٣) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٩٦ - ٩٧ ؛ وقارن حميد الله، **مجموعة الوثائق** ...؛ (١٠٥، ١٠٦، ب، ج، و، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠ ج، ١١٠هـ).

(١١٤) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٩٦؛ يحيى بن آدم، **كتاب الخراج**، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت: دار المعرفة، د: ت، ص ص٧٢- ٧٣؛ حميد الله، **مجموعة الوثائق**، وثيقة (١٠٩).

(١١٥) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ص١٠٧- ١٠٨. وقارن: ص ص١١٠- ١١٠.

(١١٦) انظر: أبو يوسف، **كتاب الخراج**، ص ص١٣٠- ١٣١.

ومعلوم أن هذه البلدان التي مر ذكرها في هذا الجزء من البحث هي بلـدان واقعـة في عمق جزيرة العرب الغربي والغربي الجنوبي منها وفي طرفـها الشـرقي فلمـاذا لم يجر على غير المسلمين في تلك البلدان إجلاء مثل ما وقع لغيرهم في بقية البلـدان الأخرى؟ إن سكوت المصادر التاريخية عن هذه الجماعات الدينية المنتشـرة في بعـض أنحـاء الجزيـرة العربية يؤكد للباحث ضعف العلاقة بين الحديث النبوي "لا يجتمع أو لا يبقى في جزيرة العرب دينان" وسياسة الإجلاء التي نفذها الخليفة عمر بن الخطاب.

الخاتمة

إن القراءة المقارنة والمتأنية لروايات المحدثين والمؤرخين حول إجلاء الخليفة عمر ابن الخطاب لأهل الذمة من جزيرة العرب تترك في ذهن القارئ الكثير من علامات الاستفهام والتساؤلات ومن ذلك مثلا :

ما المعنى الدقيق لكل من مصطلحي جزيرة العرب والحجاز ؟ إذ إن الجغرافيين واللغويين والفقهاء لم يتفقوا على تعريفات ومعان محددة لكلا المصطلحين ، بل إن بعض التعريفات التي مر بنا ذكرها في أثناء هذه الدراسة لا صلة لها بالواقع الجغرافي للمنطقة ومن ثم فإن حركة إجلاء أهل الذمة كانت تقع في بعض الأحيان في الإقليم نفسه حسب بعض التعريفات غير الدقيقة ومن ثم فإن الغرض الديني منها أو حتى الغرض السياسي لم يتحقق.

يلاحظ كذلك أن أحاديث وجوب إجلاء غير المسلمين من اليهود والنصارى عن جزيرة العرب لأنه "لا يجتمع في جزيرة العرب دينان" لم تظهر ويتسع نطاق تداولها إلا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وعلى وجه الخصوص في السنوات الأربع الأخيرة من خلافته : فلماذا لم نسمع عنها في عهد الخليفة أبي بكر الصديق وهو المعروف عنه جديته وإخلاصه في التنفيذ الحرفي الدقيق لكل وصايا وتوجيهات النبي الكريم؟

ومعلوم أن بقاء اليهود في خيبر كان بناء على إتفاقهم مع النبي ﷺ وأنه متى ما اقتضت مصلحة المسلمين إجلاؤهم منها فيجب عليهم الجلاء ولكن مما يثير الإهتمام هنا هو أن إجلاءهم في عهد عمر بن الخطاب كان تأسيسا على روايات ومسببات غير مترابطة ، حيث إن روايات المحدثين عن الإجلاء تدور كلها على السبب الديني وهو : "لا يجتمع بجزيرة العرب دينان" أو "لا يترك أو لا يبقى في جزيرة العرب دينان".

وفي المقابل نجد أن المؤرخين عندما يناقشون أسباب إجلاء عمر بن الخطاب ليهود

خيبر لا يتطرقون على الإطلاق إلى الأسباب الدينية بل إن مدار حديثهم عن التجاوزات الأمنية أو الأخلاقية. ويذكرون أحيانا المسوغات الاقتصادية مثل كثرة الأموال والعمال في يد المسلمين مما جعلهم قادرين على إدارة شئون خيبر بأنفسهم ومما يجب التنبيه عليه هنا هو أنه ربما أن إجلاء يهود خيبر لم يكن شاملا فربما كانت بعض الأسر اليهودية قد بقيت هناك إذ إن بعض المصادر تشير إلى أن من كان منهم معه عهد من رسول الله ﷺ فيبقى في خيبر.

أما أهل فدك ووادي القرى فلم تذكر لنا المصادر التاريخية شيئا عن تجاوزاتهم أو تهديدهم لسلطان الدولة بل ربما أن إجلاءهم كان مبنيا على موقف ديني أي "لا يجتمع بجزيرة العرب دينان".

وإذا بات بحكم المؤكد أن إجلاء يهود فدك منها تم بعد تعويض عمر لهم التعويض المناسب إلا أن إجلاء يهود وادي القرى وتيماء لا يزال موضع شك حيث ظل بعضهم أو أكثرهم في مواطنهم.

أما أهل الذمة من أهل نجران فحديثهم ذو شجون، ففي الوقت الذي تؤكد فيه روايات المحدثين على حديث "أخرجوا اليهود من الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب" ورواية الإمام مالك، أن عمر بن الخطاب أجلى يهود نجران وفدك ... نجد أن المؤرخين في حديثهم عن إجلاء عمر لأهل نجران كانوا يتحدثون عن النصارى وقلما يشيرون إلى يهود نجران. كما اختلف المؤرخون في الأسباب التي دفعت بالخليفة عمر إلى إجلائهم منها، فذكروا أسبابا كثيرة ولكن ربما كان أهمها السبب الأمني فقد كثر النصارى في نجران وأظهروا قوتهم المادية فخافهم عمر على المسلمين ففرقهم في العراق والشام.

ومرة أخرى يظهر أن إجلاء نصارى نجران ويهودها لم يكن إجلاء شاملا فقد

بقيت منهم جماعات كبيرة تردد ذكرها في المصادر التاريخية على مدى القرون وبالأخص في القرنين الثالث والسابع الهجريين، فقد ذكر ابن المجاور وهو من جغرافي القرن السابع الهجري أن النصارى واليهود كانوا في نجران في ذلك الوقت ثلثي السكان، وهذا بالطبع تقدير لا يخلو من مبالغة ولكنه يظل يعكس حقيقة وجود أهل الذمة في نجران في ذلك الوقت.

أما ما يثير التساؤل حقا فهو سكوت المصادر عن أمر بعض الجماعات الدينية المتفرقة في بعض أنحاء الجزيرة العربية كاليهود في الطائف واليهود والنصارى في تبالة وجرش ويهود اليمن ولاشك أنهم كانوا يشكلون جماعة كبيرة وأخيرا اليهود والنصارى والمجوس في البحرين في الطرف الشرقي من جزيرة العرب.

إن المصادر الحديثية والتاريخية التي تحدثت عن العلاقة بين المسلمين والجماعات الدينية المختلفة في جزيرة العرب وناقشت في الوقت نفسه حملة الإجلاء الجماعية التي قام بها الخليفة عمر بن الخطاب للكثير من تلك الجماعات الدينية وخاصة اليهودية والنصرانية منها، نجدها في ذات الوقت لا تذكر شيئا عن مصير أهل الذمة في الطائف وتبالة وجرش واليمن والبحرين فهل أصبح وجود هذه الجماعات لا يتعارض مع المفهوم الديني الذي طالما تكررت الإشارة إليه في هذه الدراسة "لا يجتمع دينان في جزيرة العرب"؟ أم أن تلك الجماعات كانت تتمتع بوضع خاص منذ أيام النبي ﷺ؟ وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لا تذكر مصادرنا شيئا عن ذلك ؟ أم أن الجماعات المشار إليها كانت ضعيفة الشأن قليلة الخطر فلهذا لم يشغل الخليفة نفسه بأمرهم؟

ليس بمقدور هذه الدراسة الموجزة تقديم الإجابة الشافية عن هذه التساؤلات لعدم توافر المصادر المسعفة في هذا الشأن، ولكن ربما أنها تساعد أو تحفز الباحثين على القيام بدراسات أكثر جدية وجرأة لكشف حقيقة أوضاع تلك الجماعات الدينية والمصائر التي آلت إليها.

وأخيرا فإنه يمكن القول إن المراجعة المتأنية لسياسية عمر بن الخطاب تجاه أهل الذمة في ضوء روايات المحدثين والمؤرخين تظهر بجلاء ضعف الارتباط بين العوامل الدينية والعوامل المادية الأخرى، وبمعنى آخر إن إجلاء بعض الجماعات الدينية كاليهود والنصارى من جزيرة العرب لم يكن مبنيا على المسوغات الدينية وحدها، بل لعل أقوى تلك المسوغات هي الأمنية والسياسية والاقتصادية، ولا يستبعد أن المسوغ الديني كان الحافز الشرعي لتنفيذ تلك الحملة.

هذا ما أدى إليه الاجتهاد والله أعلم بالصواب.

المصادر والمراجع

أ – العربية

- أحمد بن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، تحقيق خليل مأمون شيحا وآخرون، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٧هـ.
- أحمد بن حنبل، **المسند**، القاهرة: مؤسسة قرطبة، د: ت.
- أحمد بن محمد الهمذاني (المعروف بإبن الفقيه)، **كتاب البلدان**، تحقيق يوسف الهادي، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- أحمد بن واضح اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، بيروت: دار بيروت.
- أحمد بن يحيى البلاذري، **فتوح البلدان**، تحقيق عبدالله وعمر أنيس الطباع، بيروت: مؤسسة المعارف، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- إسرائيل ولفنسون، **تاريخ اليهود في بلاد العرب**، مصر: مطبعة الاعتماد، ١٣٤هـ/ ١٩٢٧م، ص ص١٨٣- ١٨٤.
- بكر، سي أتش، مادة "جزية" في دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية أحمد الشنناوي وآخرون، بيروت: دار المعرفة، د: ت، ٦/ ٤٥٤- ٤٥٧.
- حميد بن زنجويه، **كتاب الأموال**، تحقيق شاكر ذيب فياض، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م، ج٦، ص ص٥٤٨، ٦٢٠.
- صالح أحمد العلي "تحديد الحجاز عند المتقدمين" **العرب**، ج١، السنة الثالثة، رجب ١٣٨٨هـ.

- صالح موسى درادكة، **العلاقات العربية اليهودية**، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م.

- عاتق غيث البلادي، **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، مكة: دار مكة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- عبدالرزاق بن همام الصنعاني، **المصنف**، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، د: م، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

- عبدالله الوهيبي "الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب" **مجلة كلية الآداب**، جامعة الملك سعود (الرياض سابقا)، المجلد الأول، السنة الأولى، ١٣٩٠هـ /١٩٧٠م.

- أبو عبيد القاسم بن سلام، **كتاب الأموال**، تحقيق محمد خليل هراس، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- عبدالله بن عبد العزيز البكري، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق مصطفى السقا، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣م.

- عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، **سنن الدارمي**، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، القاهرة: دار الريان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- عبدالملك بن هشام الحميري، **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- علي بن محمد الجزري (ابن الأثير) **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق خليل مأمون شيحا، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

- عمر بن شبة النميري، **تاريخ المدينة المنورة**، تحقيق فهيم محمد شلتوت، لا توجد معلومات نشر.

- مالك بن أنس، **الموطأ**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار إحياء الكتب

العربية، د: ت.

- المبارك محمد بن الجزري (ابن الأثير)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق طاهر محمد الراوي ومحمود محمد الطناحي، بيروت: دار الفكر، د: ت.

- ابن المجاور، **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر**، مراجعة ممدوح حسن محمد، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٦م.

- محمد أبي بكر الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية، **أحكام أهل الذمة**، تحقيق صبحي الصالح، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠١هـ.

- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق صدقي جميل العطار والشيخ عرفان العشا، بيروت: دار الفكر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

- محمد بن أحمد البشاري المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق محمد مخزوم، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٠٨هـ.

- محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، الرياض: دار السلام، ١٤١٧هـ.

- محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، د: ت.

- محمد بن حبان التميمي البستي، **السيرة النبوية وأخبار الخلفاء**، تحقيق السيد عزيز بك وآخرون، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

- محمد حميدالله، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، بيروت: دار النفائس، ١٤١٣هـ/ ١٩٨٣م.

- محمد بن سعد بن منيع البصري، **الطبقات الكبرى**، بيروت: دار صادر، د: ت.

- محمد بن عمر الواقدي، **المغازي**، تحقيق مارسدن جونز، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، تحقيق إبراهيم عطوه وآخرون، القاهرة: مطبعة الحلبي، ١٣٨٢هـ.

- محمد بن محمد بن سيد الناس، **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، بيروت: دار المعرفة، د: ت.

- محمد ناصر الدين الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، الرياض: مكتبة المعارف، د: ت.

- محمد بن يحيى الصولي، **أدب الكتاب**، تحقيق محمد بهجت الأثري، مكة؟: دار الباز للطباعة والنشر، د: ت.

- موسى بن عقبة، **المغازي**، جمع ودراسة محمد باقشيش أبو مالك، الرباط: مطبعة المعارف، ١٩٩٤م.

- ياقوت بن عبدالله الحموي، **معجم البلدان**، بيروت: دار صادر ودار بيروت، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

- يحيى بن آدم، **كتاب الخراج**، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت: دار المعرفة، د: ت.

- يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري القرطبي، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، بهامش **الإصابة في تمييز الصحابة** لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، نسخة مصورة عن طبعة دار السعادة بمصر (١٣٢٨هـ).

- أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، **كتاب الخراج**، بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

ب – الأجنبية:

- AL- Wohaibi, **The Northern Hijaz in the Writings of the Arabs Geographars** 800 1150, Beirut, AL-Risalah, 1973, p. 300.
- L.Veccia Vaglieri, art "FADAK" in the **Encyclopaedia of Islam**, Leiden : E.J.Brill, 1978, IV, pp. 725-727.

Abstract

The Evacuation of non- Muslim Subjects From Arabia by Caliph Omar Ibn AL-Khattab

"A Comparative Reading Between the Traditionists & the Historians Accounts"

M. F. Al- Jameel (Ph. D)

In the year 20 A.H, the non- Muslim subjects in Arabia had been evacuated by the Caliph Omar to other places out side Arabia.

Both traditionists and historians gave different accounts regarding the issue. The traditionists consider the religious factor as the cornerstone for the evacuation, while the historians, place more value upon the objective reasons, e.g; political, economical ... etc.

Thus, the aim of this paper is to review carefully the accounts of both the traditioniets and historianes and compare them. So one can decide which justifications for the evacuation are more acceptable, in order to understand the attitude of the Caliph towards the non- Muslim subjects.

تقاليد الزواج عند المسلمين في الأندلس من عصر الإمارة الأموية حتى نهاية عصر الطوائف

١٣٨ - ٤٨٣هـ/ ٧٥٥ - ١٠٩٠م

د/ خالد بن عبد الكريم البكر (*)

الملخص:

من الحقائق الثابتة في قصة افتتاح الأندلس ؛ أن الفاتحين المسلمين لم يصحبوا زوجاتهم معهم في هذه الرحلة العسكرية. وحين تاقت أنفسهم إلى النساء بعد أن وضعت الحرب أوزارها واستقرت دعائم الفتح في الإقليم ؛ شرع قادة الجيش في الزواج من الإسبانيات، وعما قليل شاعت ظاهرة الزواج المختلط بين المسلمين ورعاياهم من أبناء شبه الجزيرة الإيبيرية، حتى صارت من أهم الملامح المميزة للمجتمع الإسلامي في الأندلس. ومع ذلك فإن هذه ليست هي السمة الوحيدة المميزة للزيجات في ذلك المجتمع، وإنما وجدت سمات وملامح أخرى أفرزتها البيئة الأندلسية المتسمة بالتنوع الديني والعرقي، وأفضت إلى تشكيل تقاليد خاصة بالزواج في الأندلس، يمكن استقصاؤها ودراستها في الفترة الممتدة من عصر الإمارة الأموية إلى نهاية عصر الطوائف (١٣٨ - ٤٨٣هـ/ ٧٥٥- ١٠٩٠م)، حيث كان الأندلسيون يحكمون بلادهم بأنفسهم ولم يمتزجوا بعد بالعدوة المغربية.

(*) أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود.

مدخل:

يمر مشروع الزواج في المجتمعات الإسلامية عبر إجراءات محددة هي: الخطبة، والعقد، وحفلة الزفاف. ولئن كانت هذه الإجراءات الثلاث هي السمة المشتركة للزواج في المجتمع الإسلامي عموماً، نظراً لكونها جزءٌ من الشعائر التعبدية أكثر منها أعرافٌ وتقاليد اجتماعية؛ فإن في تفاصيل هذه الإجراءات الثلاث مراسم أخرى حكم بها قانون العادة لا العبادة، ووضح فيها أثر البيئة المحلية، فتباينت -وفقاً لذلك- تقاليد الزواج عند المسلمين من إقليم لآخر.

فكيف كانت هذه التقاليد في الأندلس النائية في أقصى الغرب الإسلامي، والتي تمثل بيئة إسلامية متفردة في أوربا؟

أولاً: الخطبة:

اختيار الزوجة من الأعمال التمهيدية التي تسبق الخطبة. وتتنوع عملية الاختيار حسب تفاوت الفئات العُمُرية للراغبين في الزواج، فبالنسبة للشبان حديثي العهد بالزواج ممن هم لا يزالون في ميعة الصبا؛ فإن اختيار الزوجة يتوقف غالباً على رأي الوالدين ومشورتهم، حيث كان الأمهات يقمن بعملية اختيار العروس، حتى وإن كانت مواصفاتها ضد رغبة أبنائهنّ، وقد رصد (ابن حزم ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)[(١)] حالة كهذه أيام العامريين. أما بالنسبة للكهول فالأمر مختلفٌ بعض الشيء، فقد يستعين أحدهم ببعض أصدقائه[(٢)] للبحث عن زوجة مناسبة، أو ربما شاهد فتاته في منزل قريب أو في مكانٍ عام، فعقد العزم على الاقتران بها.

(١) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، **طوق الحمامة في الألفة والألاف**، تحقيق حسن كامل الصيرفي، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، د. ت، ص١٠٤.

(٢) ابن بسام الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق سالم مصطفى البدري، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج٢، ص٢٠٨؛ الرشاطي، أبو محمد عبدالله بن علي، **اقتباس الأنوار**، تحقيق إميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، مدريد: معهد التعاون مع العالم العربي، ١٩٩٠م، ص٦٥.

وهناك معايير محددة لاختيار الزوجة تختلف من شخصٍ لآخر، حسب تنوع الرغبة وتباين مستوى الثقافة، فمن الناس من يريد الظفر بذات الدين والخلق القويم، ومنهم من يبحث عن الجاه والمال، ومنهم من ينشد الجمال حتى وإن كان في غير المسلمات، ولذا لم يتردد بعضهم عن الاقتران بالكتابيات، وربما نتج عن مثل هذا الزواج نزاعٌ أسري حول حق حضانة الأولاد إثر انفصام حبل الأسرة إما بالطلاق أو وفاة أحد الوالدين أو كليهما، وقد وقعت حالةٌ من هذا النوع في عصر الإمارة، إذ توفيت امرأة وتركت خلفها صبيتين مسلمتين وأمّاً نصرانية، وللصبيتين جدةٌ لأب نصرانية أيضاً، فجرى النزاع بين ذوي الأب وذوي الأم حول حق حضانة الصبيتين، فأفتى فقهاء العصر بحق الحضانة للجدة للأم النصرانية، فهي أحق من الجدة للأب حتى وإن كانت مسلمة[٣]. والتمس آخرون البعد المادي في المصاهرة بصرف النظر عن التفاوت الكبير بين سنّ الزوج والزوجة، وتلك مسألة تجاوب صداها في الشعر الأندلسي، فقال يحيى بن الحكم المعروف بالغزال[٤]:

وخيّرها أبوها بين شيخٍ		كثير المال أو حدثٍ فقير

ويدل البيت السابق أيضاً على أن الآباء كانوا يتركون حرية اختيار الزوج

---

(٣) ابن سهل، أبو الأصبغ عيسى، **ديوان الأحكام الكبرى-وثائق من أحكام قضاء أهل الذمة-**، نشرها محمد عبدالوهاب خلاف، القاهرة: المركز العربي للدول للإعلام، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٨٦.

(٤) يحيى بن الحكم البكري الجياني. من شعراء الأندلس المرموقين في عصر الإمارة، ولاّه الأمير عبدالرحمن بن الحكم قبض الأعشار ببلاط مروان، ثم اضطلع بسفارتين عهد بهما إليه الأمير عبدالرحمن؛ الأولى إلى بيزنطة، والثانية إلى النورمان. كذلك كانت له رحلة إلى المشرق؛ انظر: الحميدي، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة- بيروت: دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج٢، ص٥٩٧؛ ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن الحسن، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري وزميليه، القاهرة: المطبعة الأميرية، ط١، ١٩٥٤م، ص١٣٣.

المناسب لبناتهم ، وقد دعم ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) هذه الفكرة فأشار إلى أن إحدى البنات في مدينة المرية[٥] ، رفضت الاقتران بأحد فقهائها البارزين حينما تقدم لخطبتها ، بحجة أنه يمارس التوثيق وكتابة العقود في الأسواق ، قائلةً : "... لا أرضاه حتى يتوب من التوثيق ؛ فإن الموثّق ليس من أهل الحشمة" ، ثم تسترسل في شرح أسباب رفضها فتقول : "... كل من يلازم أيّ دكان كان ، لأي شيء كان ، فهو سوقي ، لا سيما إذا كان يعمل عملاً بدرهم"[٦] ، فلم يكن بدٌّ أمام الخاطب سوى الاستجابة لرغبة الفتاة وتنفيذ طلباتها.

لكن الملاحظ أن مسألة التكافوء في النسب لم تكن من المعايير الصارمة التي يلزم أخذها في الاعتبار عند الزواج. ولدينا مثال من عصر الإمارة يدعم هذه الفكرة ، فقد أورد (الخشني) أن القاضي محمد بن بشير[٧] (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م) نظر في قضية مملوك زعم أن مولاه المتوفى- أعتقه ، وأنه أنكحه ابنته وأوصى إليه بماله[٨] ، فانعقد ذلك كله دون أن نسمع نبرة احتجاج من ذوي المتوفى أو صيحة استنكار من المجتمع !.

والواقع أنه يوجد في رواية (الخشني) السالفة ما يفيد أن المملوك كاذبٌ في

---

(٥) المرية Almeria: من أهم الثغور البحرية في جنوبي الأندلس. بناها الخليفة الناصر لدين الله عبدالرحمن بن محمد (٣٠٠-٣٥٠هـ)، واشتهرت في العصر الإسلامي بصناعة الحديد والمنسوجات. أما اليوم فهي تمتاز بصادراتها من الحديد والرصاص والفواكه؛ انظر: الحميري، محمد بن عبدالمنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، بيروت: مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٤٨م، ص٥٣٧- ٥٣٨؛ محمد عبد الله عنان، **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال**، القاهرة: مؤسسة الخانجي، ط٢، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، ص٢٦٥.

(٦) ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله، "مثلى الطريقة في ذم الوثيقة"، ليدن: مجلة أرابيكا، ١٩٦٩م، العدد ١٦، ص٢٨٩.

(٧) أبو عبدالله محمد بن بشير بن شراحيل المعافري، ولي قضاء الجماعة بقرطبة في عهد الأمير الحكم بن هشام؛ انظر: الخشني، محمد بن حارث، **قضاة قرطبة**، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م، ص٢٨.

(٨) الخشني، **قضاة**، ص٣٣.

دعواه، وأنه تواطأ مع بعض الشهود ليضع يده على أموال سيده ويتزوج ابنته، حتى تحقق له ذلك على الوجه المطلوب. لكن المهم هنا هو انعقاد النكاح بين المملوك وبين ابنة سيده دون أن يستلفت ذلك أنظار الناس ودهشتهم.

ولربما تكرر هذا الأمر في حالات مماثلة، مما جعل الفقهاء والموثقين يشترطون لعقد النكاح بين العبد المملوك والمرأة الحرة؛ أن تنطق المرأة بالموافقة -إن كانت بكراً- دون اعتبار صمتها الدال على رضاها، فقالوا في ذلك: "... إذا تزوج العبد أو المدبّر أو المكاتب، الحرة بإذن سيده، وكانت بكراً لا أب لها، زوّجها منه أخٌ أو ولي، فلابد أن تتكلم برضاها بذلك، إذ هو عيبٌ يلزمها، وليس صمتها هاهنا رضا، وتعرف عن نفسها ويسمع الشهود منها ذلك"[٩].

وثمة مثال آخر من عصر الإمارة يدل على أن قسماً من عرب الأندلس لم يجد أدنى غضاضة في مصاهرة الموالي، فالشاعر الأندلسي الذائع الصيت يحيى بن حكم البكري، المعروف بالغزال (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) كان خالاً لوالد الوزير هاشم بن عبدالعزيز[١٠] (ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م)، رغم أن الأول عربيٌّ صريح النسب ينتمي إلى بكر بن وائل، بينما تُصنّف أسرة الوزير هاشم بن عبدالعزيز في عداد الموالي. وفي ذلك يقول الغزال من أبيات له[١١]:

---

(٩) ابن العطار، محمد بن أحمد الأموي، **الوثائق والسجلات**، تحقيق بيدرو شالميتا وفيدريكو كورينطي، مدريد: المعهد الإسباني العربي للثقافة، ١٩٨٣م، ص١٦.

(١٠) الوزير أبو خالد هاشم بن عبدالعزيز، من ذرية عبدالله بن خالد، أحد زعماء الموالي الأموية وكبير النقباء في دولة عبدالرحمن الداخل. استعمله الأمير محمد بن عبدالرحمن في عدة مناصب حتى اعتلى الوزارة، وأصبح من أقرب موظفي الدولة منزلة عند الأمير محمد؛ انظر: ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، تحقيق محمود علي مكي، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، القسم الثاني، ص١٥٩- ١٦٠.

(١١) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف، **كتاب المقتبس**، تحقيق محمود علي مكي، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، السفر الثاني، ص٢٤٥.

أنا خاله وهو ابن أختي فما الذي ألام عليه والدماءُ تفور

لم يكن هذا النمط من الزيجات ليقتصر على أناس من العرب ومواليهم فحسب؛ وإنما شاع أيضاً بين جميع فئات السكان في الأندلس، حيث تراجعت حدة الفوارق العرقية بين السكان منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وحل الصراع الطبقي بدلاً من الصراع العرقي(١٢). صحيحٌ أن هناك قبائل عربية ظلت مستمسكة بأنسابها محافظة عليها(١٣)، لكنها حالات قليلة نادرة كانت مثاراً للاستغراب. فمعظم العرب استعاضوا عن أنسابهم العرقية بأنساب إقليمية، ففقدوا صفاتهم القبلية وزاد انتماؤهم إلى الأرض(١٤). ولدينا شواهد دالة على شيوع ظاهرة الزواج المختلط بين جميع فئات المجتمع الأندلسي. فأحمد بن سعيد الصدفي(١٥) (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م) زوّج أخته من صديقه محمد بن عبدالله بن أبي عيسى(١٦) (ت ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م) رغم

(١٢) الطاهر أحمد مكي، **دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة**، القاهرة: دار المعارف، ط٣، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص١٠٨؛ أحمد الطاهري، **عامة قرطبة في عصر الخلافة**، الرباط: منشورات عكاظ، د. ت، ص١٧٨.

(١٣) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة: دار المعارف، ط٥، د. ت، ص٤٤٣.

(١٤) عصمت عبداللطيف دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٢٤٨.

(١٥) أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم بن يونس الصدفي، من أهل قرطبة، اشتغل بجمع الحديث، وصنف تاريخاً في المحدثين؛ انظر: ابن الفرضي، أبو الوليد عبدالله بن محمد الأزدي، **تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج١، ص٩٦- ٩٨.

(١٦) أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن يحيى بن يحيى. من أهل قرطبة، كان فقيهاً أديباً، استعمله الخليفة الناصر في مناصب عدة كالقضاء والإشراف على الثغور وترميم حصونها؛ انظر: عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق أحمد بكير محمود، بيروت- طرابلس: دار مكتبة الحياة ودار مكتبة الفكر، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م، المجلد الثاني، ص٤٠٥- ٤٠٧.

اختلافهما في النسب، فالأول عربي بينما الثاني من البربر[١٧]. ولم يكن هذا النمط من المصاهرات شائعاً في أوساط العامة فقط؛ بل تغلغل أيضاً إلى طبقة الخاصة، فالحاجب المظفر عبدالملك بن المنصور بن أبي عامر (٣٩٢- ٣٩٨هـ/ ١٠٠١ - ١٠٠٧م) تزوج ابنة بستاني من مواليه، يقال لها "واحد"[١٨]. ورغم عبارة الاستنكار التي يشي بها تعليق (ابن بسام) على الرواية، إذ قال: "... فنظر إليها وهان عليه لفرط عفته زواجها.."[١٩]، ورغم ما تردد من أن (الذلفاء) والدة المظفر عبد الملك اعترضت على هذه الزيجة[٢٠]؛ إلا أن هذا اللون من المصاهرات لم يكن حالة استثنائية أقدم عليها الحاجب المظفر، لأن الرجل نفسه قام بإجراء مماثل حينما زوّج ابنة أخته، وهي (حبيبة بنت عبدالله بن يحيى بن أبي عامر) وأمها (بريهة بنت المنصور بن أبي عامر) من مولاه عبدالملك بن قند، والأخير من الموالي الصقالبة على الأرجح. فاتخذ خصوم العامريين من هذا الزواج فرصة للنيل من الحاجب المظفر والطعن في شخصيته، فقال قائلهم في ذلك[٢١]:

عربي مزوّجٌ   عبده بنت أخته
قبح الله مثل ذا   ورماه بمقته

وينبغي ألا يحملنا هذا الموقف على الاعتقاد بأن تزويج الحرة العربية ممن هو دونها في النسب كان أمراً مستهجناً في الأندلس، فالأبيات السابقة لا تعبر عن نقد

(١٧) الرشاطي، **اقتباس**، ص٦٥.
(١٨) ابن حزم، **طوق**، ص٥؛ ابن بسام، **الذخيرة**، ج١، ص٧٦.
(١٩) ابن بسام، **الذخيرة**، ج١، ص٧٦.
(٢٠) ابن بسام، **الذخيرة**، ج١، ص٧٦.
(٢١) الحميدي، **جذوة**، ج٢، ص٦٢٧– ٦٢٨؛ ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله، **الحلة السيراء**، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، ط١، ١٩٦٣م، ج١، ص٢٧٨.

اجتماعي بقدر ما هي تعبير عن معارضة سياسية صرفة[٢٢]، وإلا فإن أبا بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) قد بيّن أن المجتمع الأندلسي يكاد ينفرد بهذه الخاصية الاجتماعية دون غيره من المجتمعات الإسلامية، والتي كانت بدورها تنعي على الأندلسيين هذه العادة، فقال: ".. وفي بلادنا ما ينكح أهلها بناتهم عبيدهم، والناس يأخذون في ذلك عليهم وليس بمأخذ.. "[٢٣].

أما عملية إجراء الخطبة، فيتولاها عادة النساء المسنّات[٢٤]، ولو في مراحلها الأولى على الأقل. ويبدو أن الأندلسيين كانوا يؤثرون يوم الجمعة ليكون موعداً رسمياً للخطبة، التماساً لفضله وبركته[٢٥]. على أن هناك حالات كان فيها أولياء المرأة يخطبون الأزواج إما لأخواتهم مثلما فعل أحمد بن سعيد الصدفي حين أراد تزويج

---

[٢٢] يلاحظ أن خصوم العامريين لجأوا كثيراً إلى نظم الأشعار في مثالبهم، كقول أحدهم:

أبني أمية أين أقمار الدجى ... منكم وأين نجومها والكوكب

غابت أسود منكم عن غابها ... فلذاك حاز الملك هذا الثعلب

وقول الآخر:

اقترب الوعد وحان الهلاك ... وكل ما تحذره قد أتاك

خليفة يلعب في مكتب ... أمه حبلى وقاض....

انظر: ابن عذاري، أحمد بن محمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق جورج كولان وليفي بروفنسال، بيروت: دار الثقافة، ط٢، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ج٢، ص٢٨٠-٢٨١؛ المقري، أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م، ج١، ص٥٩١.

[٢٣] ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبدالله، **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج٥، ص١٤٧.

[٢٤] ابن حزم، **طوق**، ص٥٠.

[٢٥] إبراهيم القادري بوتشيش، "ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الحقبة المرابطية من خلال نصوص ووثائق جديدة "، **مجلة دراسات أندلسية**، العدد التاسع، تونس، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص١٥.

أخته من صديقه محمد بن عبدالله بن أبي عيسى، وتحدث معه بهذا الشأن "فخجل محمد وقال: ترضى بي أختك مع يسارها وتنافس الناس فيها. فقال: قد رضيت"[٢٦]، وإما أن يخطبوا الأزواج لبناتهم؛ كالذي فعله أبو داود سليمان بن نجاح المقرئ[٢٧] (ت ٤٩٦هـ/ ١١٠٣م) عندما زوّج ابنته من فتى فقير كان يلزم حلقته، فعرض الأمر عليه قائلاً: "أتحب أن أزوجك بنتي، فخجل الفتى وذكر حاجة تمنعه، فزوجها منه ونظر لها في دار وزفها إليه"[٢٨]، وكما هو واضحٌ في النص الآنف الذكر؛ فإن الأولياء كانوا يذهبون في ذلك إلى حد القيام بنفقات الزواج ومستلزماته، إن كان الزوج مقلاً لا مال عنده. كل ذلك من أجل اقتناص الزوج المناسب، ممن اشتهر بالعفاف والمروءة والاستقامة.

أما رؤية المخطوبة قبل العقد عليها فأمرٌ مهم بالنسبة للخاطب، إذ كان يجتهد ويُعمل الرأي والحيلة لهذا الغرض، ولن يتمكن من بلوغ غايته بمفرده؛ وإنما يلزمه أيضاً الاستعانة بالنساء، وأن يتخير الوقت المناسب لذلك وغالباً ما يكون الوقت ليلاً، فهو أدعى للستر والكتمان. فزياد بن عبدالرحمن اللخمي[٢٩] (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)،

---

(٢٦) الرشاطي، **اقتباس**، ص٦٥.

(٢٧) أبو داود سليمان بن نجاح، مولى الخليفة هشام المؤيد بالله. كان عالماً بالقراءات ورواياتها وطرقها، وله مصنفات في ذلك. سكن دانية ثم انتقل إلى بلنسية وبها مات. انظر: ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبدالملك، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم**، نشره عزت العطار الحسيني، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ج١، ص٢٠٠.

(٢٨) ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله، **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق عبدالسلام الهراس، الدار البيضاء: دار المعرفة، د. ت، ج٤، ص٢٥٤.

(٢٩) زياد بن عبدالرحمن اللخمي، المعروف بشبطون، رحل إلى المدينة وأخذ عن الإمام مالك بن أنس. عرض عليه الأمير هشام الرضا منصب القضاء فامتنع، انظر: ابن الفرضي، **تاريخ**، ج١، ص٢٧٩- ٢٨٠.

حينما تقدم لخطبة حميدة بنت معاوية بن صالح الحضرمي، رغب أولاً أن ينظر إليها قبل بنائه بها "فتحيّل النساء عليه في ذلك، وأتين به عند العشاء الآخرة، فصار في الاسطوان، فنفرت دابة معاوية منه واشتد قلقها من أجله، حتى خرج معاوية إلى الصلاة، فسمع حس الدابة فرابه ذلك، ثم دعا بالمصباح فوجد زياداً في مذود الدابة في بعض زوايا الاسطوان، فما زاد على أن قال: استوصوا بضيفكم خيراً، ثم خرج إلى الصلاة"(٣٠).

وعلى الرغم من أن النص السابق يكشف بجلاء أن والد المخطوبة، وهو ذو مكانة اجتماعية رفيعة، أغضى عن وجود الخاطب في منزله دون علمه؛ إلا أن مدلولات النص تشي باحتمالين، أولهما؛ أن مجيء الخاطب إلى بيت المخطوبة لرؤيتها بحضور والدها أو أحد محارمها؛ لم يكن من العادات الشائعة في الأندلس خلال النصف الأخير من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.

أو -وهذا هو الاحتمال الثاني- أن الخاطبين كانوا يلجأون عادة إلى رؤية مخطوباتهم بهذه الأساليب، حتى يتسنى النظر إليهن بدقة ودونما حرج أو تضييق، علماً أن النظر إلى المخطوبة لم يكن ليتجاوز الوجه والكفين، وذلك تمشياً مع تعليمات المذهب المالكي السائد في الأندلس وقتئذ(٣١).

وقد كشف ابن العربي (ت ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) أنه استعمل هذا الأسلوب عندما أراد الزواج، فقال: ".. خطبت جارية، فاختبأت لها حتى رأيت منها ما دعاني إلى نكاحها فتزوجتها"(٣٢). وفي ذلك ما يدل على أن هذه العادة في رؤية المخطوبة، استمرت شائعة في الأندلس طوال فترة الدراسة.

---

(٣٠) الخشني، **قضاة قرطبة**، ص١٨- ١٩؛ عياض، **ترتيب المدارك**، ج١، ص٣٥٢- ٣٥٣.

(٣١) ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، بيروت: دار المعرفة، ط٩، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ج٢، ص٤.

(٣٢) ابن العربي، **عارضة الأحوذي**، ج٤، ص٣٠٣.

ثانياً: عقد النكاح:

عندما يتأمل المرء مسائل الزواج المعروضة في مجالس القضاء خلال العصر الأموي (الإمارة والخلافة: ١٣٨- ٤٢٢هـ/ ٧٥٥- ١٠٣٠م)، يلاحظ أن تحرير عقود الزواج كان مناطاً بجماعة من الموثقين، فقد جاء في مصادرنا ما يفيد اشتغالهم بتحرير عقود النكاح ضمن عملهم في صياغة العقود[٣٣]. والموثقون هم فئةٌ ممن درسوا الفقه وأتقنوا العلوم الشرعية، كانوا يمارسون مهنتهم في بيوتهم أو في حوانيتهم، أو في المساجد والأسواق[٣٤]، إلا أنهم لم يستأثروا وحدهم بكتابة عقود النكاح، وإنما كان يشاطرهم فيها صاحب السوق، حسبما أوضح الفقيه ابن لبابة (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م)[٣٥]، وأحياناً كان الفقهاء يقومون بعقد النكاح حيث أوردت مصادرنا نماذج من حالات الزواج المعروضة في مجالس القضاء[٣٦]. وحين يفرغ عاقدوا الأنكحة من تحرير وثائق الزواج، يعرضونها على القضاة للمصادقة عليها، ثم يتم تسليمها إلى الزوجة، التي كانت -فيما يبدو- تحتفظ لديها بالوثيقة لتضمن حقها في مؤخر الصداق[٣٧].

---

(٣٣) قال (ابن أبي زمنين ت ٣٩٩هـ / ١٠٠٨ م): "... وإذا تزوجها على أن يبني لها داراً فيصف البنيان، فإن لم يصفه الموثق في وثيقة الصداق.."؛ انظر: الشعبي المالقي، أبو المطرف عبدالرحمن ابن قاسم، **الأحكام**، تحقيق الصادق الحلوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٢م، ص٣٧٩.

(٣٤) ابن الأبار، **التكملة**، ج٢، ص٨٦١؛ خوليان ريبيرا، **التربية الإسلامية في الأندلس**، ترجمة الطاهر أحمد مكي، القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٩٤م، ص٥٦.

(٣٥) الشعبي، **الأحكام**، ٣٩٥؛ وابن لبابه هو محمد بن عمر بن لبابه، مولى أبي عثمان عبيدالله بن عثمان، من أهل قرطبة. كان فقيهاً مشاوراً أيام الأمير عبدالله بن محمد؛ انظر: ابن الفرضي، **تاريخ**، ج٢، ص٦٨٠- ٦٨١.

(٣٦) الخشني، **قضاة**، ص٣٣؛ عياض وولده محمد، **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، تحقيق محمد ابن شريفة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٠م، ص٢٢٥.

(٣٧) الشعبي، **الأحكام**، ص٣٩٨.

ويستفاد من فتاوى الفقيه (ابن لبابة) أن عقد النكاح كان يتم أحياناً مشافهة، وفيما بعد يذهب الزوج مع ولي أمر زوجته لكتابة العقد وتوثيق الشروط المتفق عليها[٣٨]، وربما جرى ذلك إما في المسجد تيمناً ببركته أو في السوق[٣٩]، مثلما أشار الفقيه عيسى بن دينار[٤٠] (ت ٢١٢هـ/ ٨٢٧م).

أما اختيار موعد العقد فكان يتم في الغالب وفقاً لما هو شائعٌ من عادات الأندلسيين، إذ يجتنبون عقد النكاح في شهر محرم[٤١].

وتكشف عقود الزواج المدوّنة في الفترة موضوع البحث عن جانب من المشكلات الأسرية التي قد تعصف ببيت الزوجية في حال تفاقمها، كأن يعمد الزوج مثلاً إلى قطع صلة زوجته بأهلها وأقربائها، فلا تزور ولا تزار[٤٢]. أو يكرهها على الخروج من دارها، أو أن يتركها في غيبة متصلة تمتد لأشهرٍ أو سنين دون نفقة[٤٣]. ولذا كان ولي الزوجة يتحوط لموليته لئلا تقع في مثل هذه المشكلات، فيكتب في بنود العقد شروطاً من هذا القبيل، فإن وفى بها الزوج فذاك، وإلا فأمر الزوجة بيدها[٤٤].

ويسترعي الانتباه في الشروط المشار إليها، مسألة إكراه الزوجة على الخروج من دارها، وذلك أمرٌ يحتاج إلى بيان. ففي الأندلس كان الآباء يبذلون عنايتهم في شراء

---

(٣٨) الشعبي، **الأحكام**، ص٣٩٥.

(٣٩) ابن سلمون، أبو محمد عبدالله الكناني، **العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام -موجود بهامش تبصرة الحكام لابن فرحون-**، مصر: المطبعة الشرفية، ١٣٠١هـ، ج١، ص٤١، ٧٤.

(٤٠) أبو عبدالله عيسى بن دينار بن واقد الغافقي، أصله من طليطلة ثم انتقل عنها إلى قرطبة، اتهم عيسى يوم الهيج فهرب واستخفى حتى بذل له الأمير الحكم بن هشام الأمان فرجع؛ انظر: ابن الفرضي، **تاريخ**، ج٢، ص٥٥٦- ٥٥٧.

(٤١) الونشريسي، **المعيار**، ج ٢، ص٤٩١.

(٤٢) ابن العطار، **الوثائق**، ص٨.

(٤٣) ابن العطار، **الوثائق**، ص٨.

(٤٤) ابن العطار، **الوثائق**، ص٨.

الدور لبناتهم متى أشرفت إحداهنّ على الزواج، وذلك للترغيب في نكاحهنّ، حيث تسقط مؤونة توفير المسكن عن كاهل الزوج لأنه سوف يعيش مع زوجته. بل إن بعض الزوجات لا تكتفي بإسكان زوجها معها في الدار، وإنما كانت تنفق على نفسها "رغبة في زوجها ومخافة فراقها"[٤٥]. ولذا فشا التملك العقاري عند النساء، حتى إن قاضياً في عصر الإمارة لم يكن يمتلك داراً خاصة، وإنما سكن في دار ابنته[٤٦].

عندما نشأت هذه الظاهرة في عصر الإمارة لم يستسغها بعض الآباء ممن شق عليه أن يرى زوج ابنته يسكن معها في دارها دون أن ينقد شيئاً من المال، فسعى بعضهم إلى مطالبته -بعد تزويجه بسنوات-، بدفع الأجرة حتى وصل الأمر إلى القضاء[٤٧]. لكن وبمضي الوقت استحالت هذه الظاهرة إلى عادة ثابتة، وخصوصاً لدى الأسر العريقة، وعبّر عن ذلك ابن رشد (ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م) بقوله: ".. العرف عندنا في ذوات الأقدار أن المرأة لا تخرج من الدار"[٤٨]. ربما كان السبب هذه المرة في إلحاح أهل الزوجة على اشتراط السكنى في دار ابنتهم؛ هو ضمان بقاء الابنة إلى جوار أهلها، أو إشفاقهم من إمكانية انتقال الزوج بزوجته إلى مدينة أخرى، وقد شاع مثل هذا التخوف في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، إذ نلاحظ في عقود الزواج الخاصة بتلك الفترة، أنها صيغت بدرجة أكثر وضوحاً فيما يتعلق بشرط ترحيل المرأة من دارها، ومثال ذلك في عقد زواج أملاه الفقيه أبو الوليد الباجي[٤٩] (ت ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م)، وجاء فيه: ".. وألا يرحلها من دارها التي بمدينة كذا بموضع كذا ..."[٥٠].

---

(٤٥) عياض، **مذاهب الحكام**، ص٢٢٦.

(٤٦) الخشني، **قضاة**، ص١٠٠.

(٤٧) الخشني، **قضاة**، ص٧٩.

(٤٨) ابن سلمون، **العقد**، ج١، ص٤٨.

(٤٩) أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي الباجي، رحل إلى مكة فجاور بها لمدة ثلاثة أعوام، ثم انتقل إلى بغداد وأمضى بها ثلاثة أعوام يدرّس الفقه ويكتب الحديث، إلى أن قفل راجعاً إلى الأندلس؛ انظر: ابن بشكوال، **الصلة**، ج١، ص١٩٧- ١٩٩.

(٥٠) عياض، **مذاهب الحكام**، ص٢٢٥.

ويمكن ربط هذا التخوف بحالة عدم الاستقرار السياسي الذي شهدته الأندلس في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، حيث ازداد الضغط النصراني الخارجي على دويلات الطوائف، واشتدت ضراوة حرب الاسترداد (La Reconquista)، فكثر النازحون من المناطق المتاخمة إلى مناطق أخرى أكثر أمناً، بل ساد شعورٌ عام لدى بعض الناس بجدوى الخروج من الأندلس برمتها ريثما تهدأ الحال ويعود الاستقرار إليها، بينما تعالت صيحات المتشائمين بضرورة الهجرة من الأندلس[51]. ولذا أوصى أبو الوليد الباجي (ت ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م) ولديه بأن لا يستثمرا أموالهما في شراء أراضٍ وممتلكات عقارية في الأندلس، فقال: "ومن رزق منكما مالاً فلا يجعل في الأصول إلا أقله، فإن شغبها طويل وصاحبها ذليل، وليست بمالٍ على الحقيقة إن تغلب على الجهة عدو وحال بينه وبينها، وإن احتاج إلى الانتقال عنها تركها أو ترك أكثرها"[52].

ويظهر أن الشروط المشار إليها أعلاه في عقود الزواج، كانت -في الغالب- مخصوصة بالعروس متى كانت بكراً لم تتزوج من قبل، أما إن كانت العروس موسرة ثرية، فثمة شروط أخرى جرى التنصيص عليها في عقود النكاح، ومنها أن يتعهد الزوج بجلب خادمة لزوجته في بيتها[53]. وألا يتزوج عليها أو يتسرى معها أو يتخذ أم ولد[54]. وقد وقع مثل ذلك لمحمد بن عبد الله بن أبي عيسى (ت ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م)

---

(٥١) وعبّر عن ذلك ابن العسال الطليطلي عقب سقوط طليطلة سنة ٤٧٨هـ في يد الفونسو السادس ملك قشتالة، فقال:

حثوا رواحلكم يا أهل أندلس	فما المقام بها إلا من الغلط
السلك ينثر من أطرافه وأرى	سلك الجزيرة منثوراً من الوسط

انظر: المقري، **نفح الطيب**، ج٤، ص٣٥٢.

(٥٢) الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف، **وصيته لولديه**، نشر جودة عبدالرحمن هلال، مدريد: مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م، ص٤٤.

(٥٣) ابن العطار، **الوثائق**، ص٨.

(٥٤) ابن العطار، **الوثائق**، ص٨.

حينما تزوج وهو فقير في مقتبل عمره- من امرأة موسرة، ولما أراد أن يتسرى بعد مضي سنين على زواجه، أشفق أن يخبر زوجته أو أن يستأذنها في الأمر "... فتسرى على زوجه هذه دون علمها، وحبس معها جارية في داره البرّانية خفية.."[٥٥].

كما تكشف عقود الزواج أيضاً عن تفاوت قيمة الصداق حسب تباين المستوى الاقتصادي لطبقات المجتمع، فهي تتراوح من المائة إلى السبعمائة دينار[٥٦]، قد تزيد أو تنقص قليلاً عن هذا المعدل، إلا أنها في معظم الأحوال تدفع على مرحلتين؛ معجل ومؤجل، أو ما يعرف بـ (النقد) وهو عاجل الصداق، و (الكالئ)[٥٧] وهو آجله. ويلاحظ أن آجل الصداق لا تقل قيمته عن عاجله، إن لم يكن أكثر منه[٥٨]. ولذا جرى تأخير سداده لما بعد الزواج بخمس سنوات أو نحوها[٥٩]، لحماية حقوق الزوجة، والحدّ من حوادث الطلاق، وحتى يتسنى للزوج تجديد موارده المالية، إذ لم يكن من الميسور على متوسطي الحال توفير مثل هذا المبلغ، ويدعم ذلك أن حالات من الزواج كان النقد فيها عينياً، كأن يدفع الزوج لزوجته في صداقها كميات كبيرة من الحبوب كالقمح مثلاً أو قطيعاً من الماشية، وقد جرى مثل ذلك في عصر الإمارة[٦٠]. بينما تطور النقد العيني في عصر الخلافة، إذ كان الأزواج يدفعون أحياناً في الصداق عبداً مملوكاً، أو ثياباً غالية الثمن[٦١].

---

(٥٥) الرشاطي، **اقتباس الأنوار**، ص٦٦.

(٥٦) ابن سهل، أبو الأصبغ عيسى بن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى**، تحقيق رشيد النعيمي، الرياض: شركة الصفحات الذهبية المحدودة، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج١، ص٣٧٥، ٣٧٨.

(٥٧) الكاليء: بكسر اللام بعدها همزة: هو مؤخر الصداق، ويجوز تأجيله إلى العشرين سنة فما دونها. انظر: ابن سلمون، **العقد**، ج١، ص٦؛ محمد رواس قلعه جي وحامد صادق قنيبي، **معجم لغة الفقهاء**، بيروت: دار النفائس، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٣٧٥.

(٥٨) ابن سلمون، **العقد**، ج١، ص٣٧٥، ٣٧٨.

(٥٩) ابن سلمون، **العقد**، ج ١، ص٣٧٨.

(٦٠) الشعبي، **الأحكام**، ص٣٩٧، ٤٠١.

(٦١) ابن سلمون، **العقد**، ج١، ص٤٢٠- ٤٢١؛ الشعبي، **الأحكام**، ص٤٠٦.

ثالثاً: حفلة الزفاف:

بعد إتمام عقد النكاح، يبدأ التفكير في تحديد موعد حفلة الزفاف، واتخاذ الاستعدادات اللازمة لها، وقد مرّ بنا من قبل أن الأندلسيين كانوا يتجنبون عقد النكاح في شهر محرم، وكذلك كانوا يفعلون في إقامة حفلات الأعراس[٦٢]. أما فئات الخاصة من المجتمع الأندلسي فلم يعملوا بذلك وحسب؛ وإنما كانوا يتخيرون مواسم الأعياد والمناسبات السعيدة لإقامة حفلة العرس، لمضاعفة الفرحة والسرور. فالمنصور بن أبي عامر دخل على أسماء بنت غالب ليلة النيروز "وكانت أعظم ليلة عرس في الأندلس"[٦٣]. ومعلومٌ أن النيروز من الأعياد الفارسية التي احتفل بها الأندلسيون في مطلع رأس السنة الميلادية، إذ كانوا يتوسعون في إعداد أرغفة الخبز ليلة اليوم الأول من يناير ويسمونها (ليلة العجوز)، ويتبادلون الهدايا في تلك المناسبة، وتنشد قصائد المديح[٦٤]. ولربما كان اختيار ليلة النيروز بالذات لإقامة عددٍ من حفلات الزواج؛ يعود إلى فكرة شائعة في الذهنية الأندلسية ومفادها أن تلك الليلة تُعد فرصة مؤاتية للإخصاب[٦٥].

وخلال هذا الوقت -أي مرحلة ما قبل البناء بالزوجة- كان الأزواج يتهادون فيما بينهم الأشياء العينية، كالجوارب والأخفاف وما شاكلها مما كان يرسله الأزواج

---

(٦٢) الونشريسي، **المعيار المعرب**، ج٢، ص٤٩١.

(٦٣) المقري، **نفح الطيب**، ج٣، ص٨٩؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٦٧.

(٦٤)

Fernando de la Granja;: Fiestas Cristianas en Andalus, 1969; Volumen XXXIV; **AL**. **Andalus**; p 2.

(٦٥) أمين معلوف، **ليون الأفريقي**، ترجمة عفيف دمشقية، بيروت: دار الفارابي، ط٣، ١٩٩٧م، ص٧١.

إلى زوجاتهم[٦٦]، وقد أوضح الفقيه أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم[٦٧] (ت ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م) أن هدية العرس هذه، من العادات الشائعة في الأندلس[٦٨]. أما الأباء فقد أنفقوا أوقاتهم في تجهيز بناتهم وابتياع ما يلزم العروس من حلي وثياب وأغراض شخصية في ليلة عرسها، مثل المقنعة والخمار[٦٩] ومسحوق الورد وعصارة العصفر بالزعفران والإثمد[٧٠] والاسفيذاج[٧١] وحبات المصطكى[٧٢] واللبان و العفص[٧٣] وقشور الرمان، إلى غير ذلك من العطورات وأدوات التنظيف[٧٤].

على أن أهم شيء بذل الآباء عنايتهم فيه خلال تجهيز العروس، هو اقتناء دار للعروس ومن ثم الشروع في تأثيثها بما تحتاجه من متاع كالأسرّة والحصر والسكاكين والأمقاص والصحاف والأقداح، إلى غير ذلك من الأواني النحاسية مما كان الناس

---

(٦٦) ابن سهل، **الأحكام**، ١/ ٤٠٦- ٤٠٧.

(٦٧) أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن مسرة مولى بني هلال التجيبي، من أهل طليطلة. سكن قرطبة لطلب العلم ثم استوطنها، كان فقيهاً مشاوراً؛ انظر: عياض، **ترتيب المدارك**، المجلد الثاني، ص٤٢٤- ٤٢٥.

(٦٨) ابن سلمون، **العقد**، ج١، ص٣٣.

(٦٩) المقنعة والخمار: من الأردية التي تلبسها المرأة لتغطية رأسها؛ انظر: الثعالبي، أبو منصور إسماعيل النيسابوري، **فقه اللغة وسر العربية**، بيروت: دار الكتب، د.ت، ص٢٤٥.

(٧٠) الإثمد: حجرٌ للكحل؛ انظر: الفيروزابادي، مجدالدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، بيروت: دار المعرفة، د. ت، ج١، ص٢٨٠.

(٧١) الاسفيذاج: رماد الرصاص المحروق، يستعمل للتنظيف؛ انظر: الفيروزابادي، **القاموس**، ج١، ص١٩٤.

(٧٢) المصطكى: علك رومي؛ انظر: الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد، **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص١٥١.

(٧٣) العفص: نبات يستعمل للتجفيف وشدّ الأعضاء الرخوة والضعيفة؛ انظر: الفيروزابادي، **القاموس**، ج٢، ص٣٠٨.

(٧٤) ابن بسام، **الذخيرة**، ج١، ص٤٢١.

يجلبونه من مدينة مرسية[٧٥] التي امتازت على غيرها من مدن الأندلس بصناعة الأثاث المنزلي[٧٦].

واللافت للنظر هو أن ذوي العروس كانوا يتكلفون تجهيز بناتهم والإنفاق عليهن في هذا الوجه. وقد بدا ذلك واضحا منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وتحديدا في أيام المنصور بن أبي عامر (٣٦٧- ٣٩٢هـ/ ٩٧٧- ١٠٠١م) الذي ملأ الأندلس من السبي، حتى كان الناس ينعتونه بـ "الجلاب"[٧٧]. وأدى ذلك إلى إقبال الشباب على التسري بالسبايا لرخص أثمانهن إذ لم تكن إحداهن تتجاوز في ثمنها العشرين دينارا[٧٨]. ولذا انخفضت نسبة تعدد الزوجات في الأندلس لا سيما في أوساط العامة من الناس[٧٩]، وأشفق الآباء على بناتهم من العنوسة، فكانوا ينفقون من أموالهم على تجهيزهن بأغلى الثياب والحلي والدور. وقد أشار (عبدالواحد المراكشي) إلى هذه الحقيقة بقوله عن أيام المنصور بن أبي عامر: "... وفي أيامه تغالى الناس بالأندلس فيما يجهزون به بناتهم من الثياب والحلي والدور، وذلك لرخص أثمان بنات

(٧٥) مرسية (Murcia): من أعمال كورة تدمير جنوب شرقي الأندلس، بناها الأمير الأموي عبدالرحمن بن الحكم، واشتهرت بكثرة أشجارها وحدائقها. أما اليوم فهي مدينة زراعية صناعية، تنتج الدقيق والفواكه، ويصنع بها الصوف والكتان والقطن والبارود؛ انظر: ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله الحموي، **معجم البلدان**، بيروت: دار صادر، د.ت، ج٥، ص١٠٧؛ محمد عبدالله عنان، **الآثار الأندلسية**، ص٩٩.

(٧٦) الشعبي، **الأحكام**، ص٤١٧؛ ابن سعيد، علي بن موسى، **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٦٤م، ج٢، ص٢٤٦؛ ابن سلمون، **العقد**، ج١، ص٤٩، ٨١؛ المقري، **نفح الطيب**، ٢٠١/١.

(٧٧) ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١٣.

(٧٨) المراكشي، عبدالواحد بن علي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٦٣م، ص٨٤.

(٧٩) سحر السيد عبد العزيز سالم، "الجوانب الإيجابية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس" **-في كتاب ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى-**، الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٥م، ص٧٥.

الروم، فكان الناس يرغبون في بناتهم بما يجهزونهن به مما ذكرنا، ولولا ذلك لم يتزوج أحدٌ حرة..."[٨٠]. بل إن بعض الآباء كان يلجأ إلى الاقتراض أو طلب المعونة المالية من أعيان المجتمع، لاستكمال تجهيز ابنته في عرسها، وقد اضطر إلى ذلك أحد رجال الخليفة الحكم المستنصر بالله، مبرراً مسلكه هذا بقوله: "... دُفعت إلى ما لا أطيقه من نفقة في عرس ابنة لي، ولم يبق معي سوى لجام محلى، ولما ضاقت بي الأسباب قصدته..."[٨١].

وبمضي الوقت استحال الأمر إلى مشكلة حقيقية عانى منها ذوو الموارد المالية المحدودة، إذ كان بعضهم يسترفد الأمراء بقصائد المديح عسى أن يناله شيءٌ من أعطياتهم لتزويج بناته[٨٢]. وشعر الناس بحجم المشكلة، فبادر الصالحون إلى التخفيف من آثارها بدعم مشاريع الزواج، وتجهيز بنات الأرامل -ممن فقدوا عائلهم- للزواج[٨٣]. وأما الصالحات من النساء فكنّ يساهمن في إعارة ثيابهنّ وحليهنّ لكل عروس فقيرة[٨٤]. فإذا حلّ يوم الزفاف جيء بالماشطة لتزيين العروس وإعدادها للجلوة، وكان العامة يدعون الماشطة بـ (المقينة)[٨٥]، وهي تتقاضى أجرتها من ذوي العروس[٨٦]، والطريف هنا أن هؤلاء كانوا يسعون لإحضار الماشطة بأنفسهم، فإذا

---

(٨٠) المراكشي، **المعجب**، ص٨٤.

(٨١) المقري، **نفح الطيب**، ٣/ ٨٨.

(٨٢) ابن الزبير، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم، **صلة الصلة**، تحقيق عبدالسلام الهراس وسعيد أعراب، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ج٣، ص٨٥.

(٨٣) ابن عسكر، أبو عبدالله محمد بن علي، وابن خميس، أبو بكر محمد بن محمد، **أعلام مالقة**، تحقيق عبدالله المرابط الترغي، بيروت: دار الغرب الإسلامي ودار الأمان للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص٣٦٧.

(٨٤) ابن حزم، **طوق الحمامة**، ص٥٠.

(٨٥) الزبيد، أبو بكر محمد بن الحسن، **لحن العامة**، "زيادات لم تنشر في كتاب إصلاح لحن العامة"، **في كتاب ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات**، تحقيق عبد العزيز الساوري، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، القسم الرابع، ص١٣٣.

(٨٦) ابن سلمون، **العقد**، ج١، ص٩.

فرغت من عملها صرفوها بمفردها، لانشغالهم ربما- بإعداد مستلزمات أخرى لحفلة الزفاف. وقد اتخذ الناس من هذا الأمر مثلاً للسخرية والتهكم، فكانوا يقولون: "... لا يكن مثلي ومثلكم مثل الماشطة مع عروسة، تأتيهم راكبة وتنصرف راجلة... "[(٨٧)].

ويظهر أن إعداد حفلة الزفاف والقيام بنفقاتها كانت على كاهل الزوج وأهله، فقبل الحفلة بأيام، يقوم الزوج أو أهله بإشعار الأقارب و الأصدقاء بموعد يوم الزفاف، ولعل بعضهم كان يستكثر من المدعوين طلباً للمباهاة والمفاخرة[(٨٨)]، وفي يوم الزفاف يسعى الزوج بمشاركة ذويه وجيرانه وأصدقائه، إلى شراء الجزور والدهن والصبغ والحطب والتوابل وغيرها مما يحتاج للطبيخ، لإعداد وليمة العرس[(٨٩)]. وقد اعتاد الناس في مثل هذه المناسبات على المهاداة فيما بينهم، إذ يبادر أصدقاء الزوج إلى شراء ما يلزمه من الأشياء المتعلقة بوليمة العرس، فربما اشترى أحدهم جزوراً وأهداها إلى العريس، وقد يهدي بعضهم أشياء أخرى خاصة بمستلزمات الزفاف[(٩٠)].

أما ليلة الزفاف فكانت تسمى (الجلوة)، لأن العروس تجلى فيها وقد وضعت تاجاً على رأسها وهي بكامل زينتها وفاخر ثيابها[(٩١)]. ويخصص لمكان العروس دارٌ

(٨٧) الخشني، **أخبار الفقهاء والمحدثين**، تحقيق ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، مدريد: معهد التعاون مع العالم العربي، ١٩٩٢م، ص٢٦١.

(٨٨) الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد، **الحوادث والبدع**، تحقيق بشير محمد عيون، دمشق- بيروت: مكتبة المؤيد ومكتبة دار البيان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص١١٩.

(٨٩) الرشاطي، **اقتباس الأنوار**، ص٦٥، وفيما بعد طرأ تطور على ولائم الأعراس في الأندلس، إذ يستفاد من بعض المصادر الأندلسية المتأخرة أن أهل الزوج كانوا يشترون عدداً من الماشية، فيذبحونها في يوم، وفي اليوم التالي يصنعون وليمة العرس، ولذا عرف اليوم الأول بـ"يوم الذبح، وهو يوم مهنة وتعب"، بينما أطلق على اليوم التالي "يوم الإطعام"؛ انظر: ابن عسكر، **أعلام مالقة**، ص٣٦٧.

(٩٠) ابن سلمون، **العقد**، ج١، ص٣٣.

(٩١) ابن هشام اللخمي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، **المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان**، تحقيق خوسيه بيريث لاثارو، مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، ١٩٩٠م، ص١٠٩؛ وانظر ما جاء في زجل لابن قزمان: =

مفروشة بأنواع الستور والمفارش من الصوف والديباج[٩٢]. ويحيط بالعروس ذووها وعددٌ آخر من النساء القريبات منها، كالعمّة والخالة، والحاضنة والمربية، وقد أشار (ابن عبد ربه) إلى ذلك في إحدى قصائده، فقال[٩٣]:

تحكي العروس تهادى في تأوّدها … وقد أطافت بها الداياتُ والخول

والداية (مفرد الدايات) هي المربية والمرضعة[٩٤]، ويلاحظ أن صلتها بالعروس تستمر إلى ما بعد الزواج[٩٥].

وقد جرت العادة في مثل تلك المناسبات أن ترتدي العروس ثوباً أحمر اللون، وتخضب بيديها الحناء[٩٦]، ويحيط بها الضاربات على الدفوف[٩٧]، وهنّ يعملن بأجرة معلومة يدفعها أهل الزوجة[٩٨]، وعلى إيقاع ضرب الدفوف تتمايل الراقصات[٩٩]. ويظهر أن الرقص في الأعراس تحول إلى مهنة لدى بعضهنّ ممن خلعن ربقة الحياء، فمارسن الرقص أمام الرجال في بعض حفلات الزفاف الخاصة، ولم ينل ذلك بالطبع رضا المجتمع الأندلسي المسلم الذي اعتبرها مهنة مذمومة، فالراقصة في هذا المحفل ما

= أنا تايب يالس نقول بزواج … ولا جلو ولا عروس بتاج

ابن قزمان، أبو بكر محمد بن عبدالملك، **ديوان ابن قزمان**، نشره فيدريكو كورنيطي، مدريد: المعهد الأسباني العربي للثقافة، ١٩٨٠م، ص١٥٤.

(٩٢) ابن قزمان، **ديوان**، ص٤٦٦.

(٩٣) ابن عبدربه، أحمد بن محمد، **ديوان ابن عبدربه الأندلسي**، تحقيق محمد التونجي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص١٣٨.

(٩٤) ويقال للداية بلسان العامة في الأندلس؛ (دادة)؛ انظر: ابن هشام اللخمي، **المدخل**، ص١٩٨.

(٩٥) عياض، **مذاهب الحكام**، ص٢٦٧.

(٩٦) ابن سعيد، **المغرب**، ج١، ص٢٤٨.

(٩٧) ابن قزمان، **ديوان**، ص٤٦٦.

(٩٨) ابن سلمون، **العقد**، ج١، ص٩.

(٩٩) ابن سعيد، **المغرب**، ج١، ص٣٨٤.

هي إلا "**عاهرٌ ترقص في الأعراس**"[100]. ولعل ذلك هو الذي دفع الناس إلى منع نسائهم من حضور بعض حفلات الزفاف لئلا يشاهدن المنكرات الظاهرة فيها[101]. وفي خارج الدار يقيم الرجال حفلاً آخر في الشوارع والطرقات، تنشد فيه القصائد الغزلية على أنغام أحد الزامرين. وقد صوّر (الحميدي) مشهداً رائعاً لحفلة زفاف في قرطبة خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، جاء فيه: "... فلعهدي بعرس في بعض الشوارع بقرطبة، والنكوري الزامر قاعدٌ في وسط الحفل، وفي رأسه قلنسوة وشي، وعليه ثوب خز عبيدي، وفرسه بالحلية المحلاة يمسكه غلامه. وكان فيما مضى يزمر لعبد الرحمن الناصر، وهو يزمر في البوق بقول أحمد بن كليب:

غـــزالٌ لـــه مقلـــــةٌ ... يصيـــب بهـــا مـن يشـــا

وشـــى بيننـــا حاســـدٌ ... سيســـأل عمـــا وشـــى

ولـــو شـــاء أن يرتشـــي ... على الوصل روحي ارتشى

ومغن محسن يسايره فيها"[102].

ويظهر أن الغناء والإنشاد لا يستغرق وقت الحفلة بأكمله، وإنما يتخلل ذلك نوادر وطرائف يتحف بها الملهون جموع الحاضرين[103]. فإذا انفض السامر، وانتهى الحفل، انصرف العريس إلى عروسه وأخذها إلى داره، فتبقى مخدومة لمدة سبعة أيام، ويطلق على اليوم الأخير منها (سابع العروس)[104]، حيث يحتفى بها في ذلك اليوم بعد أن قضى معها زوجها سبعة أيام محتجباً عن الناس.

---

(١٠٠) ابن سعيد، **المغرب**، ج١، ص٣٨٤.

(١٠١) عياض، **مذاهب الحكام**، ٢٦٩.

(١٠٢) الحميدي، **جذوة المقتبس**، ج١، ص٢٢٣.

(١٠٣) الحميدي، **جذوة المقتبس**، ج٢، ص٦٣٠- ٦٣١.

(١٠٤) ابن حيان، **المقتبس**، السفر الثاني، ص٣٢٨؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٢٣.

الخاتمة

تبيّن من الدراسة أن المجتمع الإسلامي في الأندلس تفاعل مع بيئته المحلية بشكل ملحوظ ، فتأثر بها بقدر ما أثر فيها ، حتى انفرد ببعض الخصائص المميزة له عن غيره من المجتمعات الإسلامية. فما كنا نعهده من اعتزاز العرب بأنسابهم وعنايتهم الشديدة بالمحافظة على أصولهم العرقية لم يعد موجوداً بدرجة قوية في الأندلس ، وإنما تضاؤل حجمه وخفت ظله ، حيث سمح العرب بتزويج بناتهم لمسلمين من عناصر عرقية أخرى ؛ كالبربر والموالي والمولدين ، علاوة على كون العرب أنفسهم أقبلوا على الزواج من الأسبانيات منذ فترة مبكرة من تاريخ الإسلام في الأندلس. ومن هنا يمكن القول أن ظاهرة الزواج المختلط في الأندلس لا تعني فقط زواج الفاتحين المسلمين من النساء الأسبانيات -المسلمات منهنّ والكتابيات- ؛ وإنما اتسع مدلولها ليشمل تزاوج العناصر الإسلامية بعضها ببعض مهما اختلفت أصولهم العرقية.

ولقد أحدثت السياسة تأثيراً في المجتمع ، فحملات المنصور بن أبي عامر المستمرة إلى دار الحرب جلبت أعداداً هائلة من السبي الذين كانوا يباعون في أسواق النخاسة بأرخص الأثمان ، فامتلأت البيوت بالغلمان والجواري ، وأقبل الشبان على التسري بالجواري أو الزواج منهنّ ، ولاحت في الأفق بوادر مشكلة العنوسة للنساء ، لكن الآباء والأولياء اجتهدوا في مكافحتها من خلال القيام بتكاليف الزواج والمبالغة في تجهيز بناتهم للعرس بأفخر أنواع الأثاث والمتاع.

المصادر والمراجع

أ - **المصادر:**

- ابن الأبار، أبو عبدالله محمد بن عبدالله، **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق عبدالسلام الهراس، الدار البيضاء: دار المعرفة، د.ت.
- ....، **الحلة السيراء**، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، ط١، ١٩٦٣م.
- الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف، **"وصيته لولديه"**، نشر جودة عبدالرحمن هلال، مدريد: مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله، **"مثلى الطريقة في ذم الوثيقة"**، ليدن: مجلة أرابيكا، ١٩٦٩م.
- ابن الزبير، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم، **صلة الصلة**، تحقيق عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- ابن بسام الشنتريني، أبو الحسن علي، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق سالم مصطفى البدري، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م.
- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبدالملك، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم**، نشره عزت العطار الحسيني، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- الثعالبي، أبو منصور إسماعيل النيسابوري، **فقه اللغة وسر العربية**، بيروت: دار الكتب، د. ت.
- الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد، **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة: دار المعارف، ط٥، د. ت.

- ....، **طوق الحمامة في الألفة والألاف**، تحقيق حسن كامل الصيرفي، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، د.ت.

- الحميدي، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة - بيروت: دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- الحميري، محمد بن عبدالمنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، بيروت: مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٤٨م.

- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، تحقيق محمود علي مكي، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

- ....، **كتاب المقتبس**، تحقيق محمود علي مكي، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

- الخشني، محمد بن حارث، **أخبار الفقهاء والمحدثين**، تحقيق ماريا لويسا آبيلا و لويس مولينا، مدريد: معهد التعاون مع العالم العربي، ١٩٩٢م.

- ....، **قضاة قرطبة**، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

- ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن الحسن، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تحقيق إبراهيم الأبياري وزميليه، القاهرة: المطبعة الأميرية، ط١، ١٩٥٤م.

- الرشاطي، أبو محمد عبدالله بن علي، **اقتباس الأنوار**، تحقيق إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، مدريد: معهد التعاون مع العالم العربي، ١٩٩٠م.

- ابن رشد (الحفيد)، أبو الوليد محمد بن أحمد، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**،

بيروت: دار المعرفة، ط٩، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، **لحن العامة**، "زيادات لم تنشر في كتاب إصلاح لحن العامة" - **في كتاب ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات**-، تحقيق عبدالعزيز الساوري، الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

- ابن سعيد، علي بن موسى، **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٦٤م.

- ابن سلمون، أبو محمد عبدالله الكناني، **العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام -موجود بهامش تبصرة الحكام لابن فرحون-** مصر: المطبعة الشرفية، ١٣٠١هـ.

- ابن سهل، أبو الأصبغ عيسى، **ديوان الأحكام الكبرى -وثائق من أحكام قضاء أهل الذمة-**، نشرها محمد عبد الوهاب خلاف، القاهرة: المركز العربي للدول للإعلام، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- ، **ديوان الأحكام الكبرى**، تحقيق رشيد النعيمي، الرياض: شركة الصفحات الذهبية المحدودة، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- الشعبي المالقي، أبو المطرف عبدالرحمن بن قاسم، **الأحكام**، تحقيق الصادق الحلوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٢م.

- الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد، **الحوادث والبدع**، تحقيق بشير محمد عيون، دمشق - بيروت: مكتبة المؤيد ومكتبة دار البيان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، **ديوان ابن عبدربه الأندلسي**، تحقيق محمد التونجي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

- ابن عذاري، أحمد بن محمد، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق جورج كولان وليفي بروفنسال، بيروت: دار الثقافة، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.

- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبدالله، **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م

- ابن عسكر، أبو عبدالله محمد بن علي، وابن خميس، أبو بكر محمد بن محمد، **أعلام مالقة**، تحقيق عبد الله المرابط الترغي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ودار الأمان للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

- ابن العطار، محمد بن أحمد الأموي، **الوثائق والسجلات**، تحقيق بيدرو شالميتا وفيدريكو كورينطي، مدريد: المعهد الإسباني العربي للثقافة، ١٩٨٣م.

- عياض، أبو الفضل اليحصبي وولده محمد بن عياض، **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، تحقيق محمد بن شريفة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٠م.

- عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق أحمد بكير محمود، بيروت - طرابلس: دار مكتبة الحياة ودار مكتبة الفكر، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

- ابن الفرضي، أبو الوليد عبدالله بن محمد الأزدي، **تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، بيروت: دار المعرفة، د.ت.

- ابن قزمان، أبو بكر محمد بن عبدالملك، **ديوان ابن قزمان**، نشره فيدريكو كورينطي، مدريد: المعهد الإسباني العربي للثقافة، ١٩٨٠م.

- المراكشي، عبدالواحد بن علي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد

سعيد العريان، القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٦٣م.

- المقري، أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م.

- ابن هشام اللخمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، **المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان**، تحقيق خوسيه بيريث لاثارو، مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، ١٩٩٠م.

- الونشريسي، أحمد بن يحيى، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

- ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله الحموي، **معجم البلدان**، بيروت: دار صادر، د.ت.

ب - المراجع:

- أحمد الطاهري، **عامة قرطبة في عصر الخلافة**، الرباط: منشورات عكاظ، د.ت.

- خوليان ريبيرا، **التربية الإسلامية في الأندلس**، ترجمة الطاهر أحمد مكي، القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٩٤م.

- سحر السيد عبدالعزيز سالم، "الجوانب الإيجابية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس" -**في كتاب ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى**-، الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩٥م.

- الطاهر أحمد مكي، **دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة**، القاهرة: دار المعارف، ط٣، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- عصمت عبداللطيف دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين**، بيروت: دار الغرب الإسلامي ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- محمد رواس قلعه جي وحامد صادق قنيبي ، **معجم لغة الفقهاء** ، بيروت : دار النفائس ، ط٢ ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- محمد عبدالله عنان ، **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال** ، القاهرة : مؤسسة الخانجي ، ط٢ ، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

ج - الدوريات :

- إبراهيم القادري بوتشيش ، "ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الحقبة المرابطية من خلال نصوص ووثائق جديدة" ، **مجلة دراسات أندلسية** ، عدد ٩ ، تونس ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

د – الأجنبية:

- Fernando de La Granja, Fiestas Cristianas en Al Andalus, **Al- andalus,** Granada ، - Madrid, 1969.

Abstract

During the conquest of Andalusia، it is historically stated that early Muslims conquerors did not bring their wives during this war.

After conquering the land and settling at the Andalusian territory, Muslim soldiers yearned for women, therefore the Military commanders started marrying Spanish ladies, after awhile mix marriages between Muslim and other native citizens of Spain peninsula became a common practice.

By time this phenomena had become one of the most important characteristics of the Islamic society at Andalusia. Yet it is not the only one, the verity of origins and religions at Andalusia at that time contributes on formatting a unique marriage customs within the society.

Those characteristics could be scrutinized and studied during the period extended from the beginning of the Amoyeen Emirate to the end of the Twaef Emirate (138 / 483 AH. 755/ 1090) specially that the Andalusians used to rule their country by themselves, prior to their contact with the Moroccan boarder.

النشاط التجاري لموانئ جنوب الجزيرة العربية في العصر العباسي إلى نهاية القرن الرابع الهجري

د. سعيد بن عبدالله القحطاني(*)

ملخص البحث

يتناول البحث نشاط موانئ الجزيرة العربية الجنوبية التجارية في العصر العباسي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، حيث كان لها ارتباط تجاري وملاحي مع المناطق المجاورة كموانئ البحر الأحمر، والخليج العربي، كما امتدت علاقاتها التجارية إلى الموانئ الواقعة على سواحل المحيط الهندي، مثل موانئ بلاد الهند والصين وغيرها من الموانئ الأخرى في هذا الاتجاه، وكذلك صلتها بأفريقية الجنوبية الشرقية، فقد بين البحث أهمية هذه الموانئ كمحطات تجارية تلتقي عندها القوافل البرية والبحرية، انتشرت في الأسواق الداخلية، لتدفق السلع التجارية عليها من كل مكان.

كما اشتهرت اليمن في هذه الفترة بإنتاج كثير من السلع والبضائع التجارية التي تحمل ضمن الصادرات إلى مختلف أنحاء المعمورة، مثل اللبان والمر والعنبر، فقد كان لهذه الموانئ صلات تجارية أدت إلى ازدهارها، يأتي في مقدمتها ميناء عدن، وميناء ظفار، وميناء الشحر، وميناء غَلافِقَة، فقد عني البحث بإبراز نشاط كل ميناء على حده، وقد روعي عند تناولها في سياق البحث ترتيبها الجغرافي على الساحل ابتداء من شرق الساحل إلى غربه، وقد اعتمد البحث على بعض المصادر والمراجع التي لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بتاريخ جنوب الجزيرة العربية، وتم إثباتها في قائمة مصادر البحث.

(*) أستاذ مساعد، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود.

تطل الجزيرة العربية جنوباً على البحر العربي المتصل بالمحيط الهندي ، فكان لهذا الساحل أهميته بحكم موقعه الجغرافي ، فقد كان نقطة اتصال تجار المحيط الهندي بالغرب ؛ منها توزع منتجات المنطقة الموسمية ، مثل : التوابل والعطورات والصناعات الحريرية والصوفية ، وغيرها من أنواع التجارات الأخرى متنوعة المصادر ، فقد كانت القوافل التي تنقل هذه السلع والبضائع ترسو في موانئ جنوب الجزيرة العربية ، ثم تنقل منها إلى سائر الأسواق في مختلف بقاع المعمورة ، عن طريق البحر الذي هو ميدان نشاط أهلها التجاري في الغالب. ومن تلك البضائع ما ينقل عن طريق الطرق البرية إلى داخل الجزيرة العربية. ومن أهم الموانئ في هذا الجانب :

١ - ميناء مِرْبَاط:

هو المرسى الرئيسي لإقليم ظفار الذي يمتد من سيحوت غرباً إلى حدود عُمان شرقاً ، ويتميز هذا الإقليم بمناخه اللطيف لهبوب الرياح الموسمية عليه[١] ، وهو غنيّ بأشجار الكُنْدُر[٢] ، الذي تشتهر به اليمن قبل الإسلام ، واستمرت في إنتاجه إلى ما بعد الفترة التي تعنيها هذه الدراسة ، حيث ظلت ظفار مصدراً للمر والبخور ، فقد أشار البكري إلى عدد كبير من منتجات الأشجار الاقتصادية في مقدمتها الكُنْدُرُ الذي يؤخذ من شجر اللُّبان ويتجهز به إلى بلاد الهند والصين وإلى خُراسان وجميع الأقطار[٣] ، وقد أكد ذلك ياقوت في قوله : (إن اللُّبان لا يوجد في الدنيا إلا في جبال ظفار وهو غلة

---

(١) الرياح الموسمية الجنوبية الغربية للوصول إلى الهند والصين، والرياح الموسمية الشمالية الشرقية للوصول إلى ساحل الجزيرة العربية والساحل الإفريقي، وقد أطلق العرب على الرياح التي تهب من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي شتاء اسم"الصبا"والتي تهب من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي صيفاً اسم "الدبور"؛ (عثمان، شوقي عبد القوي، **تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية**، الكويت عالم المعرفة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص٨٧).

(٢) الكُنْدُرُ هو اللُّبان، وهو ضرب من العلك؛ ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، **لسان العرب**، إعداد وتصنيف يوسف خياط، القاهرة: دار المعارف، ج٣، ص٣٠٠.

(٣) البكري، عبدالله بن عبدالعزيز، (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، **جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق ودراسة عبدالله يوسف الغنيم، الكويت: دار السلاسل، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص١٢٧.

لسلطانها)[٤]، وأعتقد أن هذه الرواية لا تخلو من المبالغة، وربما حمل الراوي على هذا القول كثرة أشجار اللُّبان وسعة المحصول في هذه المنطقة، فقد كانت ظفار من أبرز مراكز إنتاج اللُّبان، حتى أنها كانت تعرف باسم بلاد اللُّبان[٥]، لهذا كان ازدهار ميناء مِرْبَاط التجاري في الفترة مجال البحث راجعاً إلى ثراء منطقة ظفار ببعض السلع التي تصدّر إلى الهند وغيرها من البلاد الأخرى، والتي يكثر عليها الطلب؛ لندرتها ولما تتميز به من خصائص تفضلها على غيرها؛ لهذا كثر ذكر ميناء مِرْبَاط على أفواه التجار فقد كانت تخرج منه السفن إلى الهند حاملة الخيول العربية الجميلة، فإن هذا الميناء فرضة رئيسية لتصدير الخيول إلى الهند، فقد اشتد الطلب عليها، وخصوصا الحصان العربي النقي المعروف باسم عراب[٦]. فالخيول العربية ترجع شهرتها إلى تحملها الظروف والأحوال المناخية المختلفة، وكذلك إلى أنها كانت تحظى بعناية جيدة من المهتمين بتربيتها مما أكسبها قوة تحمل تفوق غيرها، لذلك كانت الهند والأقاليم المجاورة لها تعتمد على صادرات الخيول العربية؛ لأن الخيول الهندية عديمة الفائدة، فقد أشار الطبري في جملة حوادث سنة ١٥٢هـ/٧٦٩م، إلى أن الخليفة العباسي المنصور قد عزل واليه على السند عمر بن حفص لقبوله هدية من عبدالله بن محمد بن عبدالله الملقب بالأشتر وهي على شكل خيول عربية، وقد أمتدحها بقوله: (وليس في بلاد السند والهند شيء أنفق من الخيل العتاق)[٧]، فكانت أكثر السلع رواجا في تلك البلاد.

ومما تجدر الإشارة إليه أن التجار المعنيين بتجارة الخيول كانوا يجلبونها من مختلف

---

(٤) ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومي، (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، **معجم البلدان**، بيروت: دار صادر، ١٩٧٩م، ج٤، ص٦٠، ج٥، ص٤٧؛ ولمزيد من المعلومات انظر سوسة، أحمد، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، بغداد: السلسلة الإعلامية، وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٩م، ص٢١٩.

(٥) بافقيه، محمد عبد القادر، **تاريخ اليمن القديم**، بيروت: ١٩٧٣م، ص١٩١.

(٦) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت٢٥٥ هـ/ ٨٦٨م، **التبصر بالتجارة**، تحقيق حسن حسين عبدالوهاب، القاهرة: المطبعة الرحمانية، ١٩٣٥م، ص٢٧.

(٧) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف ١٩٦٧م، ج٨، ص٣٣.

الأقاليم العربية إلى أسواق مدينة ظفار ومنها إلى ميناء مِرْبَاط ، بواسطة الطرق البرية ؛ مثل الطريق التي تمتد من بغداد إلى ميناء ظفار ، حيث كانت القوافل تتجه إليه في رحلتها مرتين في العام ، ومعها الخيول العربية والتي كانت تصدّر منه إلى الهند ، وفي الوقت نفسه كان التجار يعودون إلى العراق وغيره ومعهم كثير من السلع والبضائع التي تتوفر في أسواق ظفار ، والواردة من الهند والصين وشرق أفريقيا ، ومن الأماكن الأخرى. من أبرزها العطور والبهارات والرقيق الأسود والأقمشة الحريرية[٨].

ومما زاد في حركة ميناء مرباط التجارية أنه كان يخدم بلاد مَهْرَة المحاذي لإقليم ظفار ، والتي هي الأخرى تشتهر بالإبل المهرية وباللُّبان ، لهذا أصبح هذا الميناء محطة تجارية ومركز رسو وإبحار وأسواق تصدير واستيراد ، وبخاصة فيما تعلق بعلاقاتهم التجارية مع الهند والصين وبقية أقاليم الجزيرة العربية الأخرى ، للإقبال على شراء البخور اليماني والخيول الأصيلة والنجائب من الإبل المهرية ، وغيرها من السلع التجارية التي تتوفر في هذه البلاد. لذا أصبح أهلها أهل تجارات ، وأسواقها عامرة بالسلع والبضائع التي ترد عليها أو التي تصدّرها إلى مختلف الأسواق ، وقد استمر ميناء مرباط محتفظاً بنشاطه التجاري إلى ما بعد القرن الخامس الهجري ، حيث يذكره الإدريسي في قوله : (وجبال مدينة مرباط تنبت شجر اللُّبان ، ومنها يتجهز به إلى جميع المشارق والمغارب. وأهل مرباط هذه قوم أخلاط من اليمن وساير قبائل العرب)[٩]. فهذا النص يؤكد أهمية هذا الميناء بوصفه محطة تجارية تستقبل السلع والبضائع التي تنتجها أقطار جنوب شرق آسيا ، وغيرها من مناطق التبادل التجاري الأخرى ، التي اتسع نطاقها في العصر العباسي الأول بفضل تشجيع الدولة العباسية للتجارة والتجار.

---

(٨) ابن المجاور، جمال الدين يوسف بن يعقوب، (ت ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)، **تاريخ ابن المجاور- المسمى تاريخ المستبصر**، ليدن: ١٩٥١م، ج٢، ص٢٦٣- ٢٦٤.

(٩) الإدريسي، محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس، (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، "جزيرة العرب، من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، تحقيق إبراهيم شوكة، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، مج١، (١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ص٥٩.

٢ - ميناء الشِّحر:

من المحطات المهمة التي تقع على الساحل الجنوبي وهو يعتبر قصبة بلاد مَهْرَة، فهو إذاً ميناء ومدينة تلتقي عنده القوافل البحرية والبرية القادمة من الصين والهند وعُمان والحبشة، وبلاد فارس والبصرة ومن الحجاز، ولا غرابة في ذلك فقد كان هذا الميناء واحداً من أكثر الموانئ تصديراً للعَنْبَر[١٠] الذي اشتهرت به أسواق الشِّحر على سائر الأسواق، نظراً لما يتميز به على غيره لجودته، فقد كان محل ثناء التجار وذلك راجع إلى شدة الطلب عليه من الأسواق الخارجية، والاستعداد لدفع الأثمان المرتفعة له، فيحقق لهم مكاسب كبيرة وهذا ما حمل اليعقوبي على الإشادة به فقال: (العَنْبَر أنواع كثيرة...، فأجود أنواعه، وأرفعه، وأفضله، وأحسنه لوناً، وأصفاه جوهراً وأغلاه قيمة العَنْبَر الشّحريُّ، وهو ما قذفه البحر الهندي، إلى ساحل الشِّحر من أرض اليمن)[١١]، فيتضح من هذه الرواية بأن العَنْبَر الشّحريُّ من أفضل الروائح العطرية، التي يقبل على استخدامها عامة الناس وخاصتهم في مختلف المناسبات الاجتماعية، فقد كان العَنْبَر مألوفاً في العالم الإسلامي، يؤيد ذلك ما رواه القاضي أبو يوسف بأنه ضمن عروض التجارة الواردة على العراق، التي أشار إلى إقامة الحد الشرعي على من يتعرض لها من اللصوص فقال: (ومن سرق شيئاً من الأدهان أو الطيب مثل العود والمسك والعنبر، وما أشبهه من الطيب، وكانت قيمة ما سرق من ذلك عشرة دراهم فصاعداً فعليه القطع)[١٢].

(١٠) قال ابن منظور: (العَنْبَر من الطيب وهو شيء دَسره البحر، هو هذا الطيب المعروف)، **لسان العرب**، ج٢، ص٨٩٤؛ وقد ذكر لمسعودي، أن العَنْبَر يتكون في قاع البحر، وعندما يشتد هياج البحر قذف به كقطع الجبال وأصغر فهو يتكون في قعر البحر مثل تكون أنواع الفطر، منه الأبيض والأسود، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، بيروت: دار المعرفة (د. ت)، ج١، ص١٥٠، ص١٥١.

(١١) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح، (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، **كتاب البلدان**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص١٢٢.

(١٢) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٣هـ/ ٧٧٩م)؛ **كتاب الخراج**، بيروت: دار المعارف، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص١٧٣.

كما أن اليعقوبي قد عدّه في جملة الهدايا التي كان الخليفة العباسي المهدي (١٥٨- ١٦٩هـ/ ٧٧٤ ٧٨٥م)، قد حملها إلى مكة أثناء تأديته فريضة الحج سنة ١٦٠هـ / ٧٧٦م، واستخدمه في تطييب جدران الكعبة، فقال: (فجرد الكعبة وكساها القباطيّ[١٣] والخزّ والديباج، وطلى جدرانها بالمسك والعَنْبَر من أعلاها إلى أسفلها)[١٤]. وقد شاع استعماله في الاحتفالات السارة، مثال ما حدث في حفل زواج الخليفة المأمون (١٩٨- ٢١٨هـ/ ٨١٣- ٨٣٣م) بالسيدة بوران بنت الحسن بن سهل سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٥ م حيث كان يُنثر على الناس ابتهاجاً بهذه المناسبة السعيدة[١٥]. كذلك استخدم في حفل ختان المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٦- ٨٦١م) ضمن الروائح العطرية احتفاءً بهذا الحدث السار[١٦].

وكانت هدية الخليفة العباسي محمد بن المعتضد القاهر، (٣٢٠-٣٢٢هـ/ ٩٣٢ ٩٣٤م) التي أرسلها إلى واليه على مصر محمد بن طغج ابن تكين الأخشيدي تتضمن كميات من العَنْبَر، بمناسبة تقلده ولاية مصر سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م[١٧]. لأن الطيب أفضل ما يُهدى، فقد أشاد به أحد الشعراء فقال:

---

(١٣) القُباطي أو القَباطي: ثِياب كتان بيض تعمل في مصر؛ ابن منظور، **لسان العرب**، ج٣، ص٩.

(١٤) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، بيروت: دار صادر (دون تاريخ الطبع)، ج٢، ص٣٩٥.

(١٥) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، ص٤٩٥.

(١٦) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م)، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م، ص١٦٦- ١٦٧.

(١٧) مسكوية، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب، (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)؛ **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، القاهرة: باعتناء هـ، ف أندروز، ١٩١٤م، ج١، ص٢٥٨؛ وانظر ابن الأثير، عز الدين علي محمد، (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، **الكامل في التاريخ**، تصحيح محمد يوسف الدقاق، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج٨، ص٢٧٣.

الطيب يُهدَى وتستهدي طرائفه

وأشرف الناس يُهدَى أشرف الطيب[١٨]

فكان الخلفاء الأثرياء ورجال الدولة يهتمون باقتناء العَنْبَر الشّحري لتميزه على الأنواع الأخرى برائحته الزكية، فتذكر بعض المصادر أن الوزير أبا الحسن على بن محمد بن الفرات الذي تولى الوزارة للخليفة المقتدر بالله عدة مرات كان له أموالاً وذخائراً منها كميات كبيرة من العَنْبَر[١٩].

لقد اشتهر ساحل الشِّحر بوفرة العَنْبَر مما جعله مقصداً لسفن التجار، لذلك كان من الطبيعي أن يزدهر ميناء الشِّحر، حيث حقق صادرات مستديمة من العَنْبَر نحو الأقاليم الإسلامية، فقد شاع كما أسلفنا استعماله في اليمن والحجاز والعراق، بل تشير بعض المصادر إلى استخدامه بكثرة في البلاد المصرية، على مر العصور[٢٠]، ويقدم العَنْبَر عطراً أو مادة تدخل في صناعة العطور الأخرى، مثل الغالية[٢١] التي تصنع من خليط المسك والعود والعَنْبَر، وقد اشتهرت بصناعتها الحجاز. ومنها تحمل إلى مختلف الأقطار، فقد ذكر اليعقوبي؛ إنها كانت تعجب الخليفة المأمون، فكان

---

(١٨) الثعالبي، **كتاب خاص الخاص**، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٦م، ص١٣٩.

(١٩) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج١١، ص٣٩-٤٠؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨٠، ص٢٠، ١١٠؛ ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم، (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ج٣، ص٤٢١- ٤٢٩.

(٢٠) المقدسي، شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أحمد، (ت ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م)، **أحسن التقاسيم**، ص٩٧؛ القلقشندي، أبوالعباس أحمد بن علي، (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ج٢، ص١٢٣- ١٢٤، ج٣، ص٥١٤؛ الناصر، **النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية، في أواخر العصور الوسطى**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٢٥٧، ٢٦٠.

(٢١) الغالية، هي أخلاط من الطيب، (الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، **البخلاء**، بيروت دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٤هـ، ص٨٦).

استخدامها، كما أنها كانت تعمل لأم جعفر زبيدة، زوج الرشيد[٢٢].

وقد ظل تصدير العَنْبَر الذي تنتجه سواحل الجزيرة العربية بصفة عامة مستمر إلى ما بعد فترة هذه الدراسة، فقد شاهده ابن جبير، في أسواق مكة ضمن سائر البضائع الأخرى[٢٣] وكثرة الإقبال عليه لرواجه ولما يتميز به من رائحة زكيه كما أسلفنا من قبل.

ولم يقتصر نشاط ميناء الشِّحر التجاري على تصدير مادة العَنْبَر العطرية فحسب، فالشِّحر هو قاعدة بلاد مَهْرَة التي تشتهر بالإبل المهرية وبإنتاج اللُّبان الذي يظهر فيها بكثرة، يؤيد ذلك ما ذكره الإصطخري في قوله: (أما بلاد مَهْرَة فإن قصبتها تسمى الشِّحر، وهي بلاد قفرة... وليس ببلادهم نخيل ولا زرع، وإنما أموالهم الإبل، وبها نجب من الإبل تُفَضل في السير على سائر النجب، واللُّبان الذي يحمل إلى الآفاق من هناك)[٢٤].

فقد كانت أشجار اللُّبان تنبت على نطاق واسع في كثير من بلاد المَهْرَة حتى أصبح إنتاجها من ثمار اللُّبان يضرب به المثل لكثرته، يتضح لنا ذلك مما أورده ابن خرداذبه على لسان أحد الشعراء، في مقارنته بين عُمان والشِّحر، فقال:

(اذْهَبْ إلى الشِّحر ودَعْ عُمانا
ألاَّ تَجدْ تَمْراً تَجْد لُبَاناً)[٢٥]

---

(٢٢) اليعقوبي، **كتاب البلدان**، ص١٢٥؛ ابن رسته أبو علي أحمد بن عمر، (كان حياً سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م)، **الأعلاق النفيسة**، نشر بعناية دي غويه، ليدن: مطبعة بريل، ١٩٦٧م، ص١٩٨.

(٢٣) ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني، (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)؛ **رحلة ابن جبير**، تحقيق لجنة التراث، بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٨٦م، ص١١٨.

(٢٤) الإصطخري، ابن إسحاق إبراهيم بن محمد، (ت ٣٤٦هـ/ ٩٧٥م)، **المسالك والممالك**، تحقيق محمد جابر الحسين، القاهرة: دار القلم، ١٣٨١هـ، ١٩٦١م، ص٢٧.

(٢٥) ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيدالله بن أحمد الخراساني، (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م)، **المسالك والممالك**، ليدن: مطبعة بريل، ١٩٦٧م، ص١٤٨.

لهذا غدا ميناء الشِّحر من المراكز التجارية للصمغ واللُّبان فقد كانت هـذه السلع من ضمن المبادلات التجارية التي تستهوي التجار لنقلها إلى مختلف الأسواق، فقد كان العرب يفضلونها على غيرها، وهم قادرون على تمييز النوع الممتاز من اللُّبان الذي فاقت شهرته سائر الآفاق[٢٦]. ويحمل من هذا الميناء أيضاً السمك الذي يستخرج من ساحله إلى بعض الجهات، فكان من ضمن صادراته التي أشار لها المقدسي في قوله: (والشِّحر مدينة على البحر معدن السمك العظيم يحمل إلى عمان وعدن ثم إلى البصرة وأطراف اليمن)[٢٧]، وأعتقد أن هذا السمك يُجفف ويملح ليتيسر حمله دون فساد.

يتضح من الروايات التي أشرنا إليها أن ميناء الشِّحر كان يشارك بصورة نشطة في منظومة المحطات التجارية البحرية في جنوب الجزيرة العربية التي كان لأهلها شهرة واسعة في التجارة عبر العصور المختلفة، باعتبارها وسيطاً تجارياً، تقدم عليها القوافل التجارية من الهند والسند والصين والحبشة، ومن العراق وبقية البلاد الإسلامية، فتتم المبادلات التجارية، وتنقل السلع الواردة إليها مع ما كان يتم إنتاجه في إقليم المَهْرَة من البضائع التي سبق الإشارة إليها آنفاً.

٣ - ميناء عدن:

يعتبر ميناء عدن من الموانئ المشهورة في الجزيرة العربية التي تقع على الساحل الجنوبي المواجه لبحر الهند، فهو يحتل موقعاً جغرافياً ممتازاً، لكونه يقع عند رأس أحد المعابر البحرية التي لابد من عبورها للوصول إلى البحر الأحمر[٢٨]، لهذا أصبح مرفأ

---

(٢٦) اليعقوبي، **كتاب البلدان**، ص١٢٢.

(٢٧) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٤٧؛ وأنظر أيضاً الثعالبي، **لطائف المعارف**، تحقيق إبراهيم الإبياري وحسن كامل، (د. م)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص٢١٤، ٢٣٨.

(٢٨) المعبر هو باب المندب الذي يشرف على حركة مرور النقل البحري بين البحر الأحمر والبحر العربي، قال عنه ياقوت: (وصار منه بحر اليمن الحائل بين أرض اليمن والحبشة والآخذ إلى =

عدن من أشهر المحطات التجارية التي تجتمع بها قوافل التجار البحرية القادمة من الهند والصين وغيرها من الأقطار الأخرى، وتعبر منها إلى البحر الأحمر في اتجاه سواحله الغربية أو الشرقية[٢٩]، وكانت بعض السلع والتجارات يتم تداولها في أسواق عدن التي تشتهر بكثرة حوانيتها ومخازنها التجارية[٣٠]، فقد كانت تلك الأسواق عامرة، ويقصدها التجار من كل مكان بسبب اتساع نطاق ما كان لها من علاقات تجارية، فقد كانت سفن التجار الهنود كبيرة الحجم تلقي مراسيها في ميناء عدن، وهي تحمل كثيراً من المنتجات الهندية، مثل القرفة (الدارصيني)، والمسك الفاخر، والفلفل، والهال المعروف (بالحبهال)، والكافور وجوز الطيب، والعَنْبَر، والأبنوس، والعاج، وكذلك الأواني الفخارية منها الخزف الصيني[٣١]، بالإضافة إلى كثير من السلع والبضائع الأخرى متباينة المصادر، حيث أصبح ميناء عدن من أهم المراكز التجارية التي تلتقي عندها منتجات الشرق والغرب ولم يقتصر دورها على تجارة العبور، وإنما كانت تشارك في هذه التجارة بكثير من منتجات اليمن التجارية، فقد اشتهرت عدن باللؤلؤ والعَنْبَر، والمنسوجات العدنية، والجلود، وقد أشار الإصطخري إلى أهمية عدن بوصفها محطة تجارية فقال: (وعدن مدينة صغيرة، وإنما شهرتها لأنها فرضة على البحر، ينزلها السائرون في البحر، وبها معادن اللؤلؤ)[٣٢]، وكان بعض التجار

= عيذاب والقُصير إلى مقابل قوص من بلد الصعيد وعلى ساحله أيلة وجدة والقلزم)، (**معجم البلدان**، ج، ص٢٠٩).

(٢٩) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص٢٦.

(٣٠) القحطاني، سعيد عبدالله، **تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، التاسع والعاشر للميلاد**، رسالة دكتوراه مقدمة لقسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص١٢٣.

(٣١) عثمان، عبدالقوي، **تجارة المحيط الهندي**، ص٢٨٤؛ هايد، ف، **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**، ترجمة أحمد رضا محمد رضا، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ج٢، ص٢٧- ٢٨.

(٣٢) الإصطخري، **المسالك والممالك**، ص٢٦، ٣٠.

العرب ينقلون منها السلع التجارية براً إلى أسواق الحجاز واليمامة وعمان، ومنها إلى بلاد الشام، والعراق في مختلف المواسم(٣٣).

لقد زاد نشاط مدينة عدن التجاري، فقد أجمعت المصادر على أنها الميناء الرئيسي لليمن في العصر العباسي الأول، الذي كان يقوم بدور الوسيط التجاري بين اليمن ومختلف مناطق التبادل التجاري الأخرى(٣٤)، لأن موقعها الجغرافي الاستراتيجي، أتاح لها فرصة الاتصال بعمان، وبقية أقاليم الجزيرة العربية، وبلاد فارس والهند والصين والحبشة، ومصر، فعلى الرغم من تحول النشاط التجاري في بداية العصر العباسي إلى الخليج العربي، تبعاً لإنشاء مدينة بغداد واتخاذها مقراً للخلافة الإسلامية، إلا أن هذا لم يُفقد فرضة عدن مكانتها التجارية المرموقة في التجارة العالمية آنذاك، فقد كانت مقصداً للتجار من مختلف الأقطار لما لها من مكانة اقتصادية، فهي تعتبر المنفذ الرئيس لجنوب الجزيرة العربية، وتشكل باب اليمن الكبير لاستقبال القوافل التجارية في مختلف المواسم، وقد ساعد على ازدهارها ما يتوفر لها من ظهير زراعي ورعوي غني بالثروة الزراعية والحيوانية، مما جعلها تساهم في التجارة العالمية بصادرات كثيرة مثل الحبوب، والإبل، واللؤلؤ والعَنْبَر، والمر واللُّبان والمنسوجات العدنية المشهورة(٣٥).

فبحكم هذا الموقع أصبح ميناء عدن مركزاً تجارياً تزدهر أسواقه بالسلع والبضائع التجارية متباينة المصادر، فكان يشكل حلقة وصل بين الشرق والغرب كما أسلفنا،

---

(٣٣) هايد، ف، **تاريخ التجارة**، ص٢٧- ٢٨.

(٣٤) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٢٩٨؛ الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)، **الروض المعطار في أخبار الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م، ص٤٠٨.

(٣٥) أبو مخرمة، أبو عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م)، **تاريخ ثغر عدن**، بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص١٩- ٢٦، ٥٨.

يلتقي عندها التجار الذين يزاولون نشاطهم التجاري في أسواقها، فقد عدها الهمداني من أقدم أسواق العرب التي لا تقل أهمية عن مكة والجند[٣٦]، ونجران[٣٧]، يعرض فيها كل فضل مستحسن من السلع، مثل الثياب العدنية الكريمة، والطيب بأنواعه والورْس[٣٨]؛ لهذا كانت أسواق عدن تعج بالناس الذين يترددون عليها من مختلف الآفاق، لأن تجارتها وفيرة الربح[٣٩]، فقد أشار ابن خرداذبه إلى التجار اليهود ذوي اليسار الذين يأتون من أوروبا قادمين إلى مصر ثم ينتقلون منها إلى موانئ الحجاز ثم إلى ميناء عدن في طريقهم إلى سواحل السند والهند والصين، فيحملون من تلك الجهات المسك والعود والكافور والدار صيني (القرفة)[٤٠] كما كان يكثر في أسواق عدن التجار الفرس والزنج[٤١].

ومع مرور الوقت تطورت أسواق عدن حتى أصبحت، حسب ما قاله المقدسي عنها: (عدن بلد جليل عامر آهل حصين خفيف، دهليز الصين وفرضة اليمن وخزانة المغرب، ومصرف التجارات، كثير القصور، مبارك على من دخله مثر لمن سكنه، مساجد حسان، ومعايش واسعة، وأخلاق طاهرة ونعم ظاهرة، وبارك النبي صلى

---

(٣٦) الجَنَدُ: من المدن النجدية باليمن من أرض السكاسك بينها وبين مدينة صنعاء ثمانية وخمسون فرسخاً، وكانت الجند من أعظم مخاليف اليمن في الإسلام، فيها مسجد بناه معاذ بن جبل رضي الله عنه، (ياقوت، **معجم البلدان**، ج٢، ص١٦٩).

(٣٧) الهمداني، الحسن بن يعقوب، (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م)، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص٣٣٢.

(٣٨) الوَرْس: نبت أصفر يكون باليمن يصبغ به الثياب، الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (ت نحو ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م)، **مختار الصحاح**، تحقيق يوسف الشيخ محمد، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص٣٣٦.

(٣٩) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٩٦، ٩٨.

(٤٠) ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، ص١٥٣- ١٥٤؛ يعرف هؤلاء التجار اليهود بالراذانيه، الذين يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والإفرنجية والأندلسية، والصقلية.

(٤١) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٩٦، ٩٨.

الله عليه وسلم في سوق منى وعدن)[٤٢].

فكان من الطبيعي أن تنمو أسواقها وتزدهر نتيجة اتساع حركتها التجارية، فلم تكن مجرد محطة تلتقي عندها القوافل القادمة من هنا أو هناك فحسب بل أنها أصبحت واحدة من أهم أسواق الجزيرة العربية التي كانت أرباح تجارتها عالية، حيث شهدت أسواقها حركة تبادل تجاري عظيمة للسلع المختلفة الواردة من الشرق أو من الغرب، فقد أورد المقدسي أيضاً بعض التفصيل عن أرباح تجارتها فقال: (إذا أنت دخلت عدن فسمعت أن رجلاً ذهب بألف درهم فرجع بألف دينار، وآخر دخل بمائة فرجع بخمسمائة، وآخر بكندر فرجع بمثله كافوراً، طلبت نفسك التكاثر... ولما دخلتها سمعت أكثر ممّا قال...)[٤٣].

يتبين لنا من هذه الروايات ازدهار حركة أسواق عدن التجارية وضخامة الأرباح التي كانت تحقق للتجار في أسواقها، فقد كان التجار يحملون متاجرهم وسلعهم إلى حيث يرجون الربح الوفير، خاصة لتلك السلع المميزة كالمسك والإبل المهرية، فقد وصف المقدسي تجارها بالغنى وأثنى على نشاط أسواقها بحكم أنه شاهد عيان مكث في اليمن سنة كاملة.

ويمكننا القول أن قدوم التجار من مختلف الآفاق إلى ميناء عدن واتجاه أعداد منهم إلى الاستقرار الدائم فيها أدى بالتدريج إلى اتساع حركة التبادل التجاري بينه وبين الجهات الأخرى والتي استمرت في التطور والازدهار، حتى فيما بعد الفترة التي يعنيها البحث، فالإدريسي يقدم لنا أقوى الشواهد الدالة على عظمة تجارة ميناء عدن إذ يقول: (ومدينة عدن صغيرة وإنما اشتهر ذكرها لأنها مرسى البحر، ومنها تسافر مراكب السند والهند والصين وإليها يجلب متاع الصين مثل الحديد الفرند والكيمخت

---

(٤٢) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٨٥.

(٤٣) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٩٨.

والمسك والعود والسروج والخضار والدار صيني والنارجيل... وأكثر السلع التي يتجهز بها إلى ساير البلاد... وهي بلدة تجارة)[٤٤].

كان التجار يتدافعون على ميناء عدن ويشدون لها الرحال[٤٥]، لما يتحقق لهم فيها من مكاسب وفيرة، ولكونها من المراكز الرئيسية للتجارة البحرية مع الهند والصين، والحبشة، التي تجلب لها السلع الغالية، فكان تجارها يتفاخرون بكثرة أموالهم[٤٦] وكانوا يدفعون عنها الضرائب الباهظة، تصل في بعض الأحيان إلى ثلث أموال التجار، تدفع لخزانة السلطان[٤٧].

فكانت السفن التي تحط رحالها في ميناء عدن تخضع للتفتيش الدقيق، من قبل عمال الميناء، ولا يسمح لها بمغادرة الميناء قبل أن تدفع الأموال والضرائب المستحقة للسلطان وغيره عليها[٤٨] وعلى الرغم من التعسف الذي كان يتعرض له أصحاب السفن التجارية القادمة لعدن من مختلف الأقطار في بعض الأحيان، إلا أنهم كانوا يحققون أرباحاً عالية، نتيجة لازدهار نشاط أسواقها التجاري، وكثرة الوافدين عليها وارتفاع المستوى المعاشي لسكانها، فكان أهلها ما بين تجار وحمالين وصيادين للسمك، وللتجار منهم أموال عظيمة[٤٩]، فقد قال عنها المرزوقي، : (وكان طيب الخلق جميعاً بها يعبا ولم يكن أحد يحسن صنعه من غير العرب، حتى أن تجار البحر

---

(٤٤) الإدريسي، **جزيرة العرب**، ص٥٧.

(٤٥) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٦٧.

(٤٦) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص١٠٤- ١٠٥؛ ولزيادة في التفصيل انظر العاني، عبدالرحمن، "تحول الطرق التجارية من الخليج العربي إلى البحر الأحمر، وازدهار عدن"، بغداد: **مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد**، العدد ٢٨ (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص١١٦- ١١٨.

(٤٧) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص١٠٥.

(٤٨) العاني، **تحول الطرق التجارية**، ص١١٨.

(٤٩) ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧)، **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص٢٦٨.

لترجع بالطيب المعمول تفخر به في السند والهند وترتحل به تجار البر إلى فارس والروم ... ما يحسن عمله إلا أهل الإسلام بعدن)[٥٠]، كما اشتهرت بصناعة العَصْب[٥١] التي كانت تنقل إلى الحجاز فقد ذكر ابن فرحون أن الإمام مالك بن أنس كان يلبس الثياب العدنية[٥٢].

يتضح من هذه النصوص أن ميناء عدن بالإضافة إلى كونه مركزاً تجارياً يتلقى العديد من البضائع من السند والهند والصين، والحبشة، وشرق أفريقيا، وبلاد فارس والعراق، ومن الحجاز واليمامة، وعمان، استقطب كذلك العديد من الصناع والتجار من مختلف القوميات، وجذب الكثير ممن وفدوا من الأقاليم القريبة، فكان السكان يتكونون في الغالب من التجار وأصحاب المهن والصنائع الذين عملوا في مختلف الحرف، مما أدى إلى الرفاه الاقتصادي والاجتماعي، حيث تخصص كثير من التجار في تجارة الترف والنعيم (الكماليات) وهو دليل على أن أهلها تخطوا مرحلة الضروريات إلى مرحلة الرغد الهنية، وقد استمر هذا الميناء يلعب دور الوسيط التجاري المهم في جنوب جزيرة العرب على مر العصور، حتى أصبح أكثر الموانئ ازدحاماً بالبضائع مختلفة المصادر والتي يتحقق للعاملين في تسويقها أرباحاً عالية، كما كان يتميز هذا الميناء بأسواقه المنظمة، حسب تخصص التجار، فلكل سلع ناحية خاصة بها في السوق، وكثرة الدور التي ينزلها التجار عند رسو سفنهم في المرفأ[٥٣] فتقوم هذه الدور مقام الفنادق في هذا العصر.

---

(٥٠) المرزوقي، أبوعيل أحمد بن محمد بن الحسن، (ت ٤٢١هـ/ ١٠٢٠م)، **الأزمنة والأمكنة**، حيدر أباد: الدكن: مطبعة مجلس إدارة المعارف، ١٣٣٢هـ، ص١٦١.

(٥١) البرود التي يُعْصَب غزلها، ابن منظور، **لسان العرب**، ج٢، ص٧٩١.

(٥٢) ابن فرحون، برهان الدين أبو الوفاء إبراهيم بن علي بن محمد، (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م) **الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب**، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٢٩هـ، ص١٩.

(٥٣) أبو مخرمة، **تاريخ ثغر عدن**، ص٢٠-٢١؛ القرني، سعد بن سعيد، **الحياة الاقتصادية في اليمن في العصر العباسي الأول**، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة لقسم التاريخ، جامعة الملك سعود، عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص١١١.

ولم تقتصر أهمية ميناء عدن على أنه مركزٌ مهمٌ للسفن التجارية وتموينها فحسب، بل كان يشرف على نهاية الطرق البرية التي تربطه بأقاليم الجزيرة العربية، حيث يخرج منه طريقان بريان، أحدهما إلى مدينة صنعاء ومنها يتفرع إلى صعدة وإلى زبيد، ثم إلى إقليم الحجاز، والآخر يخرج إلى إقليم عُمان ثم إلى البحرين ثم إلى البصرة ومنها إلى بغداد، وقد بينت المصادر الجغرافية مسالك هذين الطريقين ومحطاتهما، وقد حرصت الخلافة العباسية ضبط الأمن وتوفير الحماية لقوافل التجار البرية وذلك بالتصدي للصوص وقطاع الطرق.

٤ - ميناء المُخا:

هو من موانئ جنوب الجزيرة العربية المشهورة التي ورد ذكرها في النقوش والمصادر القديمة[٥٤]، حيث يقع على البحر الأحمر على محجة عدن إلى زبيد فقد قال عنه الهمداني: (وكان يزخر بالحادي والملاح والوارد والسارح)[٥٥]. وقال عنه في موضع آخر: إنه ساحل بني مجيد، وهو قرية عظيمة[٥٦]، تلتقي عنده بعض الأودية الغنية بالمزارع، لهذا نشطت حركته التجارية اعتماداً على موقعه الجغرافي، مما جعله محطة لتجارة العبور اتسع نشاطها تبعاً لاتصالها التجاري بالمدن والموانئ الأخرى.

كان التجار يمرون على ميناء المخا أثناء ذهابهم من عدن إلى زبيد (غلافقة) فشارك غيره من الموانئ اليمنية في النشاط التجاري خلال العصر العباسي في فترة هذه الدراسة، معتمداً على ما كان يرد إليه من سلع وبضائع يتم تداولها داخل الأسواق في جنوب الجزيرة العربية، ونقل الفائض منها إلى مناطق الحاجة الأخرى خارج اليمن، ومما زاد في أهمية هذا الميناء أنه يعتمد على خلفية زراعية غنية، فقد كانت المخاليف الظهيرة له تشتهر بإنتاج كثير من أنواع الحبوب والفواكه، وكذلك تنتج بعض

---

[٥٤] الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص١٧٣، هامش رقم ٣.

[٥٥] الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص٧٢، ٢٥٨؛ وانظر ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص٦٧.

[٥٦] الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص١٧٣.

الصناعات كالثياب والسلاح والتي يتم تصديرها إلى مختلف الأسواق[٥٧]. كما زادت أهمية المخا التجارية عندما اشتهر بتجارة البن في العصور المتأخرة[٥٨].

٥ - ميناء غَلافِقَة:

كان من الموانئ التي أسهمت في تجارة الجزيرة العربية، حيث لعب دوراً بارزاً في تجارة العبور القائمة بين الشرق والغرب، فقد كان هذا الميناء فرضة رئيسية لمخلاف زبيد في اليمن، بل عده اليعقوبي وابن خرداذبه من أبرز محطات الطريق الملاحي الذي تعبر منه المراكب التجارية الهابطة والصاعدة إلى البحر الأحمر[٥٩]؛ فكان يجتمع فيه التجار من الحبشة والحجاز، والعراق، ومصر، والهند، والصين، وبلاد فارس، ومن مختلف الأصقاع الأخرى، للمتاجرة والمبادلة[٦٠]. كما يمر به أيضاً الطريق البرية الساحلية التي تخرج من الحجاز في اتجاه اليمن ثم إلى عُمان، وقد فصلت مراحلها المصادر الجغرافية[٦١]. زادت أهمية هذا الميناء التجارية في العصر العباسي الأول لا سيما بعد أن أصبح المرفأ الرئيسي لمدينة زبيد[٦٢] حاضرة الدولة الزيادية التي بسطت نفوذها

---

(٥٧) بيوتروفكسي، ميخائيل، **اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة، القرن الرابع حتى العاشر الميلادي**، ترجمة محمد الشعيبي، بيروت: دار العودة، ١٩٨٧م، ص١١٤- ١١٦.

(٥٨) الجندي، أبو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب، (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، **السلوك في طبقات العلماء والملوك**، تحقيق محمد علي الأكوع، صنعاء: منشورات وزارة الإعلام والثقافة اليمنية، ص٢٧٧.

(٥٩) اليعقوبي، **كتاب البلدان**، ص٨١؛ ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص١٤٩.

(٦٠) فهمي، نعيم زكي، **طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الغرب والشرق**، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص١٤١.

(٦١) ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص٢٨، ١٤٧؛ الإدريسي، **جزيرة العرب**، ص٣٠؛ وانظر كذلك، الناصر، علي، **النشاط التجاري**، ص١٢٧- ١٢٨.

(٦٢) مدينة زبيد، مدينة مشهورة اختطها محمد بن عبدالله بن زياد الأموي، سنة ٢٠٤/٨٢١م عندما عينه الخليفة المأمون والياً على اليمن سنة ٢٠٣هـ/ ٨٢٠م، أنظر ياقوت، **معجم البلدان**، ص١٣١؛ ابن المجاور، **تاريخ ابن المجاور**، ص٥٤.

على سائر بلاد اليمن في عهد الخليفة العباسي المأمون، فزاد نمو نشاط غَلافِقَة التجاري، ويعود هذا النمو إلى عوامل مختلفة لعل أهمها توافر الأمن والسلام فيها طيلة فترة حكم دولة بني زياد الذي امتد من سنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م إلى ٤١٢هـ/١٠٢١م؛ الأمر الذي شجع على تزايد السكان الذين استقروا بها، فقد وصفها ياقوت بقوله: (غَلافِقَة بلد على ساحل بحر اليمن مقابل زبيد، وهي مرسى زبيد، وبينها وبين زبيد خمسة عشر ميلاً، ترفأ إليها سفن البحر القاصدة زبيد)[٦٣].

ويبدو أن نموها التجاري رافقه كما قلنا نمواً في سكانها، فقد حدثنا المقدسي عن بعض جوانب الحياة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية والعمرانية فقال في عبارات تحمل دفء شهود العيان عما شاهده: (وغَلافِقَة فرضة زبيد بها جامع على البحر رأيتهم يفضلونه ويرابطون فيه. عامرة آهلة، بها نخيل ونارجيل وأبار حلوة، إلا أنها وبئة قاتلة للغرباء)[٦٤]. كما أشار في موضع آخر إلى وفرة مياهها ونظافتها فقال: (وليس باليمن نخيل ولا مياه غزيرة، وسواحله قشفة[٦٥] معدوم بها الماء إلا غَلافِقَة)[٦٦].

يتضح من هذه الرواية وغيرها بأن غَلافِقَة كانت ميناء وقرية عظيمة مشهورة نظيفة وفي سعة من العيش[٦٧]، فبرزت بوصفها ميناء مهماً لدولة بني زياد، حيث تحتل موقعاً يساعد على الاستفادة من الطريق التجاري البحري للبحر الأحمر الذي سبق الإشارة إليه، فهي ميناء صالح لرسو السفن التجارية الكبيرة القادمة من الهند وغيرها

---

(٦٣) ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص٢٠٨؛ انظر كذلك الجندي، **السلوك في طبقات العلماء**، ص٢٣٣- ٢٣٤.

(٦٤) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٨٩.

(٦٥) قشفة: عدم النظافة، قيل رثاثة الهيئة وسوء الحال وضيق العيش؛ ابن منظور، **لسان العرب**، ج٣، ص٩٣.

(٦٦) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٩٥.

(٦٧) مظفر، طاهر، "بناء زبيد في اليمن"، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد (١٢)، ١٩٧٠م ص٣٥٢.

تحتل موقعاً يساعد على الاستفادة من الطريق التجاري البحري للبحر الأحمر الذي سبق الإشارة إليه، فهي ميناء صالح لرسو السفن التجارية الكبيرة القادمة من الهند وغيرها من الأقطار الأخرى في طريقها للبحر الأحمر من الشرق أو في اتجاهها إلى جنوب شرق آسيا من الغرب.

كما أنها غدت من أهم مراكز استقدام الرقيق الأسود من منطقة بربرة، وعموم الصومال والحبشة، فقد كانوا يجلبون بأعداد كبيرة إلى ميناء زيلع على الساحل الأفريقي الشرقي ومنه إلى ميناء عدن ثم إلى غَلافِقَة على ساحل زبيد ومنها إلى سوق التوزيع الكبير الواقع بعاصمة الدولة الزيادية مدينة زبيد التي تُعَدُّ مركزاً كبيراً للرقيق ثم يتم نقلهم عن طريق التجار إلى موانئ البحر الأحمر ومنه إلى الحجاز، والشام ومصر، أو العراق حيث حاضرة الخلافة العباسية(٦٨)، فقد كان الاتجار بهؤلاء يمثل مورد رزق للتجار وخاصة تجار اليهود الراذنية الذين أشار لهم ابن خرداذبة(٦٩)، لا سيما بعد زيادة الطلب على اقتنائهم، يؤكد ذلك أعدادهم الكبيرة في سواد العراق عندما ثاروا على الدولة العباسية سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م، فقد عجزت الدولة العباسية عن إخماد هذه الثورة في حينها، فطال أمدها حتى سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م، -هي ثورة الزنج- وكادت تطيح بالخلافة العباسية(٧٠).

كما برزت مدينة زبيد بوصفها مصدراً لبعض السلع التجارية الأخرى التي تنقل

(٦٨) لومبارد، موريس، **الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى**، ترجمة عبدالرحمن حميدة: دمشق دار الفكر العربي، ١٣٩٩هـ، ص٢٦٥.

(٦٩) ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، ص١٥٤- ١٥٥.

(٧٠)

M.A. Shaban, **Islamic History**, A New interpretation , 2, A. D.750- 1055- (A. H, 132- 448) Cambridge, 1970.

وانظر عمر، فاروق، **التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين**، بيروت: مؤسسة المطبوعات العربية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٢٨٧، وغدا عدد من العبيد يعملون في الصناعة والحرف والتجارة والزراعة.

الرقيق[٧١]، والمنسوجات الفاخرة، كالبرود المنسوجة من الحرير الخالص، أو من خليط الحرير والكتان، والملايات والفوط التي عمت شهرتها مختلف الأقطار[٧٢]. وقد أفاد المقدسي بأن مدينة زبيد من المدن التي يدبغ فيها الأديم، وكان لها شهرة في ذلك، فقال: (أديم زبيد ونيلها لا نظير له). فكان يفضل على غيره، وهذا ما جعل ابن الفقيه يعبّر عن أهمية كثير من السلع التجارية اليمنية، بقوله: (أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن، الورس والكُنْدُروالخطر[٧٣] والعصب)[٧٤] ويحدثنا أيضاً المقدسي عن وفرة عظيمة لبعض السلع التجارية والتي يكثر تداولها بقوله: (اليمن معدن العصائب والعقيق والأدم[٧٥] والبقم)[٧٦].

لهذا كان الإقبال على السلع التجارية اليمانية عظيماً لما تتميز به من جودة على السلع المنتجة من جهات أخرى، ومما يؤيد ذلك اتساع الصلات التجارية بين المراكز الحضارية في اليمن والأسواق الخارجية، فكان التجار من الحجاز والعراق، ومصر

---

(٧١) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٩٨؛ الأدريسي، **جزيرة العرب**، ص٥٥.

(٧٢) ابن المجاور، **تاريخ ابن المجاور**، ج١، ص١٩؛ وانظر الصفدي، سالم دياب سالم، **الأحوال الاقتصادية والحياة الاجتماعية في بلاد اليمن خلال القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة**، رسالة ماجستير غير مطبوعة، مقدمة لكلية الآداب، جامعة المنيا، مصر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ص١٢٩.

(٧٣) الخطر، هو نبات يختضب به وهو يشبه الكتم يختضب به الشيوخ، ابن منظور، **لسان العرب**، ج١، ص٨٥٧.

(٧٤) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق، (ت ق ٣هـ/ ٩م)، **مختصر كتاب البلدان**، ليدن: مطبعة بريل، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م، ص٣٦.

(٧٥) البقم: شجر يصبغ به، وورقه يشبه ورق اللوز، يستعمل للصباغ، وتعالج به الجراحات، الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م)، **القاموس المحيط**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ج٢، ص٨٨.

(٧٦) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٩٨.

والحبشة يترددون على أسواق اليمن، وقد أشار الهمداني(٧٧)، إلى كثير من المبادلات التجارية التي كانت قائمة مع العراقيين وغيرهم.

مما تقدم من روايات ونصوص يمكن القول بأنّ الوارد والصادر إلى هذا الميناء كان كثيراً من التجارات المتنوعة لمواجهة حاجة سكان حاضرة الدولة الزيادية، وبلاطها، حيث الحياة المدنية في مدينة زبيد تقوّت ونضجت في هذه الفترة، بتشجيع من حكامها، لهذا كان يُقتضى أن تلبي حاجات السكان، تبعاً لرقي حضاراتهم التي كانت عالية، ويعزّز هذا ما أشار إليه الإدريسي بعد ذلك حينما قال عنها: (مدينة مشهورة كبيرة وأهلها مياسير أهل ثروة ومال والمسافرون إليها كثيرون وبها يجتمع التجار.. يحملون أمتعتهم إليها ويخرج منها ضروب الأفاوية الهندية والمتاع الصيني)(٧٨)، وفي موضع آخر ذكر أن أهل غَلافِقَة حضر(٧٩). فمن المؤكد أن أهل تلك البلاد قد عرفوا السلع الاستهلاكية الضرورية منها والكمالية، من طيب وعطور وتوابل وأقمشة حريرية وقطنية وكتانية، تبعاً لتطورهم الاقتصادي والحضاري كما أسلفنا.

فكان على التجار أن يوفروا مطالب السكان، ولاشك أن التجار لا يتوانون في جلب حاجة أسواق مدينة زبيد وما يليها من مخاليف أخرى وبطبيعة الحال كان التجار يراعون أذواق السكان على مختلف درجاتهم الاجتماعية، وكذلك توفير حاجة جند الدولة ودواوينها من الأسلحة والملابس ووسائل النقل، هذه العوامل أدت إلى زيادة التبادل التجاري الدولي فضلاً عن السلع المحلية التي تنقل من خلال هذا الميناء والذي أصبح الفرضة الرئيسية لحاضرة الدولة الزيادية.

---

(٧٧) الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص٢٠٠.

(٧٨) الإدريسي، **جزيرة العرب**، ص٥٥.

(٧٩) الإدريسي، **جزيرة العرب**، ص٥٥.

ولا نغفل اهتمام الحكام من الأسرة الزيادية بفرض سيادة دولتهم على مناطق نفوذهم في جنوب الجزيرة العربية آنئذ، مما وفر الأمن والاستقرار الذي معه شجع التجار على ارتياد مواني بلادهم لتحقيق الأرباح من وراء حملهم تجارة الشرق أو الغرب، وكانت هذه تخضع لرقابة مباشرة من قبل الدولة الزيادية، والشاهد على ذلك ما ذكره المقدسي عن المكوس التي كانت تفرض على التجار، فقال: (ومكس بلدان السواحل هيِّن إلاَّ غَلافِقَة)[٨٠].

وعزز هذه الرواية كذلك ما أورده عمارة[٨١] اليمني عن ثراء أبي الجيش إسحق، نتيجة لما كان يتحصل له من ضرائب على المراكب التجارية من الهند والحبشة ومن مختلف الجهات الأخرى التي كانت تتصل بموانئ جنوب الجزيرة العربية في هذه الفترة[٨٢].

لقد أصبحت اليمن في فترة قيام الخلافة العباسية ذات روابط تجارية واسعة؛ مما كان له الأثر الكبير على زيادة نشاط محطاتها البحرية التجارية، وأنعشت معها الأسواق الداخلية، وكذلك الطرق التجارية التي تربطها مع الجهات الأخرى البرية منها والبحرية، فقد كانت تصدر اليمن كما أسلفنا كثيراً من السلع التجارية مثل الفضة والأحجار الكريمة والورس والعسل والبخور والأقمشة والألبسة الفاخرة، وكانت القوافل التجارية تسلك الطرق البرية وعبر البحار على حد سواء، فقد كانت لها

(٨٠) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص١٠٥.

(٨١) عمارة اليمني، نجم الدين عمارة بن علي، (ت ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)، **تاريخ اليمن، المسمى المفيد في تاريخ أخبار صنعاء وزبيد**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، القاهرة: مطبعة البيان العربي، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦، ص٦ وما بعدها.

(٨٢) هو أبو الجيش إسحق بن إبراهيم بن زياد، حكم من ٢٩١هـ- ٣٧١هـ، الشاطري، محمد بن أحمد، **ادوار التاريخ الحضرمي**، جدة: عالم المعرفة، ١٤٠٣هـ، ج١، ص١٤٥؛ وانظر عطية القوصي، "تجارة الخليج بين المد والجزر في القرنين الثاني والثالث الهجري"، **مجلة الجمعية الجغرافية الكويتية**، العدد ١٨، ١٩٨٠م، ص٣٢- ٣٣.

صلات تجارية مع العراق ، والحجاز والحبشة ومصر ، والهند وبلاد الصين وغيرها من الأقطار الأخرى.

وأدت هذه الصلات التجارية النشطة إلى ازدهار موانئ الجزيرة العربية الجنوبية والتي يتصدرها في المقام الأول ميناء عدن وظفار والشِّحر وغَلافِقَة والمخا ، وكان لازدهار المدن الساحلية أثره على ازدهار الأسواق الداخلية في هذه المنطقة ، فقد ازدادت أهمية تجارة المرور البحرية ، بالإضافة إلى ما تنتجه أقاليم اليمن من سلع تجارية متباينة كانت تنقل إلى الأسواق الخارجية ، لما تتميز به من جودة تجعلها تحوز على إعجاب السكان على مختلف مشاربهم.

المصادر والمراجع:

- ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، **الكامل في التاريخ**، تصحيح محمد يوسف الدقاق، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- الإدريسي، محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس، (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، "**جزيرة العرب، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**"، تحقيق إبراهيم شوكة، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٢١، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.، ص ص٣- ٧٢.

- الإصطخري، ابن إسحاق إبراهيم بن محمد، (ت٣٤٦هـ/ ١٩٥٧م)، **المسالك والممالك**، تحقيق محمد جابر الحسيني، القاهرة: دار القلم، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

- بافقيه، محمد عبدالقادر، **تاريخ اليمن القديم**، بيروت: ١٩٧٣م.

- ابن بطوطة، شرف الدين أبو عبدالله بن محمد، (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، **رحلة ابن بطوطة، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

- البكري، عبدالله بن عبدالعزيز، (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٥٤م)، **جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق عبدالله يوسف الغنيم، الكويت: دار السلاسل، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

- الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل، (ت ٤٣٠ هـ/ ١٠٣٨م)، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

- ....، **كتاب خاص الخاص**، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٦م.

- ....، **لطائف المعارف**، تحقيق إبراهيم الأبياري، وحسن كامل، دار إحياء

الكتب العربية، عيسى البابلي الحلبي، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، **التبصر بالتجارة**، تحقيق حسن حسين عبدالوهاب، القاهرة: المطبعة الرحمانية ١٩٣٥م.

- ....، **البخلاء**، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٤هـ.

- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني، (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، **رحلة ابن جبير**، تحقيق لجنة التراث، بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٨٦م.

- الجَنَدي، أبو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب، (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، **السلوك في طبقات العلماء والملوك**، تحقيق محمد علي بن الحسين الأكوع الحوالي، صنعاء: منشورات وزارة الإعلام والثقافة اليمنية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- الحميري، محمد بن عبدالمنعم، (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق، إحسان عباس، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م.

- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي، (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، **صورة الأرض**، بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٧٥م.

- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبدالله بن أحمد الخراساني، (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م)، **المسالك والممالك**، ليدن: مطبعة بريل، ١٨٨٩م.

- ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم، (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

- ابن الدَّيْبَع، عبدالرحمن بن علي، (ت ٩٤٣هـ/١٥٣٦م)، **قرة العيون في أخبار اليمن الميمون**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٧٤هـ.

- الرازي، أبو العباس أحمد بن عبيدالله بن محمد، (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٨٦م)، **تاريخ مدينة صنعاء**، تحقيق حسين بن عبدالله العمري، دمشق: ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، (ت ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م)، **مختار الصحاح**، تحقيق يوسف الشيخ محمد، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

- ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر، (كان حياً سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م)، **الأعلاق النفيسة**، نشر بعناية دي غوية، ليدن: مطبعة بريل، ١٩٦٧م.

- سوسة، أحمد، **حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور**، بغداد: السلسلة الإعلامية، وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٩م.

- الصفدي، سالم دياب سالم، **الأحوال الاقتصادية والحياة الاجتماعية في بلاد اليمن خلال القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة**، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة المنيا، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٠-١٩٦٩م.

- عاني، عبدالرحمن، "تحول الطرق التجارية من الخليج العربي إلى البحر الأحمر"، وازدهار عدن، بغداد، **مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد**، العدد ٢٨ لعام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.، ص ص ١١٦- ١١٨.

- عثمان، شوقي عبدالقوي، **تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية**، الكويت: عالم المعرفة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

- عمارة اليمني، نجم الدين عمارة بن علي، (ت ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)، **تاريخ اليمن، المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مطبعة البيان العربي، القاهرة: ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

- عمر، فاروق، **التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين**، بيروت: مؤسسة المطبوعات العربية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- ابن فرحون، برهان الدين أبو الوفاء إبراهيم بن علي بن محمد، (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م)، **الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب**، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٩٩م.

- ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد، (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م)، **مختصر كتاب البلدان**، ليدن: مطبعة بريل، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م.

- فهمي، نعيم زكي، **طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الغرب والشرق**، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

- الفيروز أبادي، مجدالدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، (ت ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)، **القاموس المحيط**، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩١٣م.

- القرني، سعد بن سعيد بن عائض، **الحياة الاقتصادية في اليمن في العصر العباسي الأول**، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة لقسم التاريخ كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

- القحطاني، سعيد بن عبدالله بن بنيَّة، **تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، التاسع والعاشر للميلاد**، رسالة دكتوراه، مقدمة لقسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٣م.

- لومبارد، موريس، **الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى**، ترجمة عبدالرحمن حميدة، دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

- ابن المجاور، جمال الدين يوسف بن يعقوب، (ت ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)، **تاريخ ابن**

المجاور، **المسمى تاريخ المستبصر**، ليدن: مطبعة بريل، ١٩٥١م.

- أبو مخرمة، أبو محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد، (ت ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م)، **تاريخ ثغر عدن وتراجم علمائها**، اعتنى به علي بن حسن علي الحميد الحلبي، بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ /١٩٨٧م.
- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن، (ت ٤٢١هـ/ ١٠٢٠م)، **الأزمنة والأمكنة**، حيدر أباد الدكن: مطبعة مجلس إدارة المعارف، ١٣٣٢هـ.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، بيروت: دار المعرفة.
- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب، (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، القاهرة: باعتناء، هـ، ف، أندروز، ١٩١٤م.
- مظفر، طاهر، "**بناء زبيد في اليمن**"، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ١٢، ١٩٧٠م، ص ص٣٤٨- ٣٦٢.
- المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن ابي بكر المعروف بالبشاري، (ت ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ليدن: مبطعة بريل، ١٩٠٩م.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري، (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، **لسان العرب**، إعداد وتصنيف يوسف خياط، بيروت: دار لسان العرب.
- الناصر، علي بن حسين السليمان، **النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- هايد، ف، **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**، ترجمة أحمد رضا محمد رضا، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م)، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت عبدالله الرومي البغدادي، (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، **معجم البلدان**، بيروت: دار صادر، ١٩٨٦م.

- اليعقوبي، أحمد ابي يعقوب بن جعفر بن وهب، (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، **كتاب البلدان**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- ..، **تاريخ اليعقوبي**، بيروت: دار صادر، بدون تاريخ الطبع.

- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، (ت ١٨٣هـ/ ٧٧٩م)، **كتاب الخراج**، بيروت: دار المعارف، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

- M.A. Shaban, **Islamic History**, A New Interpretation, 2, AD 750–1055– (A.H– 132– 448), Cambridge: 1970.

In the Name of Allah, the Compassionate, the Merciful

Abstract

This research deals with the activity of the southern Arabian Peninsula commercial ports during the Abbasid era until the end of the fourth Hijri century. At that time, these ports had trade links with the neighboring regions such as Red Sea and the Arabian Gulf ports as well as the ports on the coast of the Indian Ocean such as the ports of China and India. Moreover, they had trade relations with Southeastern Africa. The research illustrates the significance of these ports as commercial terminals where land and sea caravans meet. They also represented markets for the goods that come from all over the world.

During that time, Yemen was famous for its abundant production of commercial goods such as frankincense, myrrh and ambergris that were exported to the different parts of the world Thus, the ports of Eden, Zafar, Al Sah-hr and Ghalafqa had flourished due to the trade links between them. The research presented the activity of each port according to the geographic order on the coast, starting from the east to the west, The researcher depended on some sources and references that have direct or indirect relation to the history of the southern part of the Arabian Peninsula, These references are written down in the bibliography. The researcher did his best to provide the reader with new information in this regard.

كتاب موجز لتاريخ الوهابي للسير هارفرد جونز بريدجز كمصدر لتاريخ الدولة السعودية الأولى

د/ عويضه بن متيريك الجهني(*)

ملخص البحث:

نُشر كتاب "موجز لتاريخ الوهابي" في لندن عام ١٨٣٤م (١٢٥٠هـ) وكان مؤلفه السير هارفرد جونز بريدجز موظفاً بارزاً من موظفي شركة الهند الشرقية الإنجليزية والحكومة البريطانية، وقد عمل في البصرة والكويت وبغداد فترة تزيد على عشرين عاماً بين عامي ١٧٨٤م (١١٩٨هـ) /١٨٠٦م (١٢٢٠هـ) كان خلالها يراقب ما كان يحدث في داخل الجزيرة العربية ويكتب مع زملائه التقارير عن ذلك إلى الشركة والحكومة البريطانية.

وقد تزامنت هذه الفترة مع بروز وتوسع الدولة السعودية الأولى واحتكاكها بالقوى السياسية المجاورة لنجد في سواحل الخليج العربي والعراق والحجاز، وهنا تكمن أهمية كتاب السير بريدجز كمصدر معاصر -وأحياناً- شاهد عيان على الحوادث التي يتكلم عنها.

لقد تميز كتاب السير بريدجز أيضاً بدرجة واضحة من الحياد والدقة في سرد الحوادث وإيراد الآراء حيث لم يتأثر كثيراً بما كانت تروجه الدولة العثمانية وموظفوها وعلماؤها وأتباعها عن الدعوة الإصلاحية السلفية والدولة السعودية، كما احتوى الكتاب على تفصيلات لا نجدها في غيره من المصادر وخاصة فيما يتعلق بعلاقات الدولة السعودية بجهات الخليج وباشوية بغداد. وبما أن الكتاب نادر حيث لم يطبع إلا مرة واحدة وبنسخ قليلة فقد هدف هذا البحث إلى التعريف به كمصدر من مصادر تاريخ الدولة السعودية الأولى.

(*) أستاذ التاريخ الحديث المشارك، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود.

نشر هذا الكتاب في عام ١٨٣٤م (١٢٥٠هـ) في حياة مؤلفه، السير هارفرد جونز بريدجز (Harford Jones Brydges). ولم يتجاوز المطبوع من هذه الطبعة الأولى والوحيدة ثلاثمائة نسخة. وقد لفت هذا الكتاب نظر الباحث منذ فترة طويلة، لكنه لم يجد نسخة منه في المكتبات العامة المعروفة بالمملكة بالرغم من قوة صلة موضوعه بتاريخها، ولذلك فهو كتاب نادر[١].

نشر الكتاب بعنوان:

An Account of the Transaction of his Majesty's Mission to the Court of Persia in the years 1807-11, to which is Appended A Brief History of the Wahauby.

وترجمته:

"وصف لأعمال بعثة جلالته إلى البلاط الفارسي خلال الأعوام ١٨٠٧-١٨١١م، ملحق به موجز لتاريخ الوهابي".

يتكون الكتاب من جزئين، سرد السير بريدجز في الجزء الأول منه أعمال السفارة التي كلف بها من قبل الحكومة البريطانية إلى بلاط شاه بلاد فارس والمفاوضات التي انتهت بالتوصل إلى معاهدة تمهيدية بين بريطانيا وحكومة بلاد فارس خلال الفترة ١٨٠٧- ١٨١١م/ ١٢٢٢- ١٢٢٦هـ.

أما الجزء الثاني فقد خصصه المؤلف للحديث عن الدعوة الإصلاحية والدولة السعودية الأولى وألحقه بوصف أعمال السفارة وعنونه بـ"موجز لتاريخ الوهابي" وهو موضوع هذه الدراسة[٢].

---

(١) علمتُ مؤخراً بوجود نسخة من الكتاب في دارة الملك عبدالعزيز ضمن مكتبة خاصة غير مفهرسة.

(٢) سيحال في هذه الدراسة إلى الجزء الأول من كتاب السير بريدجز هكذا:

An Account of the Transaction.

أما الجزء الثاني (موجز لتاريخ الوهابي) فسيحال إليه هكذا: **A Brief History**.

إن الهدف من هذه الدراسة هو إلقاء الضوء على مصدر معاصر لظهور الدعوة الإصلاحية والدولة السعودية الأولى يقدم مؤلفه الذي كان موظفاً بارزاً في شركة الهند الشرقية الإنجليزية والحكومة البريطانية وجهة نظره في دوافع ظهور تلك الدولة وعوامل توسعها وأفولها. وسيحاول الباحث الوصول إلى ذلك الهدف عن طريق إلقاء الضوء على حياة المؤلف وثقافته والأعمال التي قام بها وعلاقة ذلك بموضوع كتابه، وإعطاء نبذة عن الكتاب تتضمن أهم الموضوعات التي اشتمل عليها والمصادر التي اعتمد عليها مؤلفه ومدى أهميته كمصدر من مصادر تاريخ الدولة السعودية الأولى.

أ - المؤلف، السير هارفرد جونز بريدجز:

ولد هارفرد جونز في الثاني عشر من شهر يناير، عام ١٧٦٤م (١١٧٧هـ)، في بلدة برستين (Presteign) من مقاطعة بويز (Powys) في شرق إمارة ويلز (Wales). وقد اكتسب جونز اسماً إضافياً، بإشارة ومرسوم ملكي في شهر مايو من عام ١٨٢٦م (١٢٤١هـ) هو، بريدجز (Brydges)، وذلك إحياء لذكرى جدته لأمه التي تنتمي إلى عائلة بريدجز من سكان بلدة أولد كولوول (Old ColWall) في مقاطعة هيرفورد شاير (Hereford shire)[٣].

انخرط هارفرد جونز في فترة مبكرة من حياته في خدمة شركة الهند الشرقية الإنجليزية، وقد تمكن خلال هذه الفترة من تعلم عدد من اللغات الشرقية وإتقان التحدث بها[٤]. وفي عام ١٧٨٤م (١١٩٨هـ) أرسل إلى البصرة للعمل في وكالة شركة الهند الشرقية في تلك المدينة التي كان يديرها في ذلك الوقت السيد وليام لاتوش (William Latouche)[٥]. لم يلبث السيد لاتوش أن عاد إلى إنجلترا، حيث خلفه في

---

(٣)

The Dictionary of National Biography, Ed. By Sir Leslie Stephen and Sir Sidney lee, Oxford University Press (since 1917) Vol. 3, P. 161.

(٤) **The Dictionary of National Biography**, p.161.

(٥) انظر: **A Brief History**, p.15.

إدارة وكالة البصرة السيد صاموئيل مانستي (Samuel Manesty)، وتم تعيين السيد هارفرد جونز مشاركاً له في إدارة تلك الوكالة منذ عام ١٧٨٨م (١٢٠٢هـ)[٦].

أمضى السيد هارفرد جونز حوالي عشر سنوات في خدمة شركة الهند الشرقية في وكالتها في البصرة. وخلال هذه الفترة دخلت الوكالة في مشكلة مع متسلم البصرة وحكومة بغداد اضطرت الوكيلين؛ مانستي وجونز إلى مغادرة البصرة، ونقل الوكالة مؤقتاً إلى بلدة القرين (الكويت) في شهر أبريل عام ١٧٩٣م (رمضان ١٢٠٧هـ)[٧]. وكان سبب هذه المشكلة، أن نصرانياً محلياً أتهم بقتل أحد اليهود في البصرة، فتدخلت الوكالة الإنجليزية لصالح النصراني، مما أغضب يهود البصرة الذين نجحوا في تأليب المتسلم وباشا بغداد ضد الوكالة وإلحاق الأذى بها، مما اضطر مانستي وجونز إلى الانسحاب بالوكالة إلى الكويت بهدف ممارسة الضغط على حكومة بغداد وإجبارها على تسوية المشكلة بشكل يرضي الوكيلين[٨].

بقيت الوكالة الإنجليزية في الكويت حتى تمت تسوية المشكلة وعادت إلى البصرة في أغسطس من عام ١٧٩٥م (صفر ١٢١٠هـ). لكن هارفرد جونز أضطر بسبب اعتلال صحته من جراء سوء الطقس والمياه والحرارة الشديدة في الكويت إلى العودة إلى إنجلترا في إجازة قبل عودة الوكالة إلى البصرة بفترة وجيزة[٩]. كان المؤلف خلال هذه الفترة التي قضاها في الكويت، والتي امتدت لأكثر من سنتين، أقرب ما يكون إلى

(٦) ج. ج لوريمر، **دليل الخليج، القسم التاريخي**، الترجمة العربية التي أعدها ونشرها مكتب أمير دولة قطر، الدوحة: مطابع علي بن علي، ١٩٧٥م، ج٤، ص١٩١٠؛ كان مسمى وظيفة السيد مانستي في البصرة وكيل (Agent) ثم مقيم (Resident)، في حين كان مسمى وظيفة السيد جونز (Factor) وكيل أو وسيط تجاري.

(٧) لوريمر، **القسم التاريخي**، ج٣، ص١٥٠٩؛ ويلاحظ أن جونز نفسه يذكر في كتابه هذا (ص١١) أنه انتقل مع الوكالة إلى القرين (الكويت) في عام ١٧٩٢م (١٢٠٦هـ).

(٨) لوريمر، **القسم التاريخي**، ج٤، ص١٩١١-١٩١٢.

(٩) لوريمر، **القسم التاريخي**، ج٣، ص١٥٠٩.

نجد وداخل الجزيرة العربية ، حيث مكنه ذلك الموقع من معرفة وإدراك حقيقة ما كان يجري من أحداث في وسط وشرق جزيرة العرب ، بعيداً عن تأثير السلطات العثمانية في العراق. وخاصة أن الكويت قد أصبحت في هذا الوقت أحد الموانئ المهمة على الساحل العربي للخليج التي يرتادها النجديون للتجارة . كما أن الفترة التي أمضاها المؤلف في الكويت قد شهدت أيضاً محاولات الدولة السعودية للاستيلاء على ذلك الميناء المهم[١٠].

في بداية صيف عام ١٧٩٨م (١٢١٣هـ)، علم المسئولون في الحكومة البريطانية وشركة الهند الشرقية في لندن بتوجه نابليون بونابرت على رأس حملة بحرية من طولون في اتجاه الشرق ، وتوقعوا أن الهدف النهائي لتلك الحملة هو مستعمراتهم الغنية في الهند ، مما أثار شعوراً بالخطر الشديد في الدوائر ذات العلاقة. تلقى هارفرد جونز ، الذي كان لا يزال يتمتع بإجازته في هيرفورد شاير ، أوامر عاجلة لمقابلة المسئولين في الحكومة البريطانية واللجنة السرية في مجلس المدراء لشركة الهند الشرقية (India House). وبعد بعض المداولات ، تم تعيين السيد جونز مقيماً سياسياً لدى بلاط باشا بغداد من قبل جلالة ملك بريطانيا واللجنة السرية بمجلس المدراء وذلك في الخامس من يوليه ١٧٩٨م (محرم ١٢١٣هـ)[١١]. وتتلخص مهمته هناك ، كما يذكر جونز نفسه ، في محاولة كسب سليمان ، باشا بغداد إلى جانب البريطانيين في حالة تمكن الفرنسيين من إقناع السلطان العثماني في اسطنبول بالانحياز إلى جانبهم ، وفي حالة حدوث إتفاق بين البريطانيين والباب العالي ، فإن عليه أن يعمل على دفع الباشا إلى تقديم كل مساعدة تتوفر له إلى سيده السلطان[١٢]. لقد برزت أهمية باشوية بغداد

---

(١٠) انظر: عثمان بن عبدالله بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، تحقيق عبدالرحمن آل الشيخ، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ، ج١، ص٢٠٩؛ وأيضاً:
ABrief History, p.11-15.

(١١) لوريمر، **القسم التاريخي**، ج٤، ص١٩٠٩-١٩١٣.

(١٢) انظر: **A Brief History**, p.16, 177.

لمسئولي الحكومة والشركة البريطانية، لأن العراق كان -في اعتقادهم- أحد الطرق التي يمكن أن يسلكها بونابرت إلى الهند.

وصل السيد هارفرد جونز إلى بغداد في أواخر أغسطس من السنة نفسها، وتسلم مهام منصبه من السيد جون رينو (John Lewis Reinaud) الذي كان قد أرسل لشغل المنصب بصفة مؤقتة من قبل السيد صاموئيل مانستي، المقيم في البصرة[١٣]. أمضى السيد جونز في منصبه السياسي الجديد حوالي ثمان سنوات، أدى خلالها مهام عمله على وجه نال رضاه هو نفسه، ورضا رؤسائه في لندن، بالرغم من انحسار الخطر الفرنسي الذي أدى إلى تعيينه في ذلك المنصب بعد أقل من سنتين من وصوله إلى بغداد[١٤]. ولم يمض على وصول السيد جونز إلى بغداد سوى بضعة أشهر حتى فرض سليمان باشا على جان روسو (Jean B. Rousseau) القنصل الفرنسي في بغداد، الإقامة في منزله، وصدرت الأوامر من الباب العالي باعتقال القنصل والرعايا الفرنسيين في البصرة وإرسالهم كأسرى إلى اسطنبول، ولكن ليس من المؤكد أن كل ذلك كان بتأثير من السيد جونز[١٥].

لقد تزامن وصول السيد هارفرد جونز إلى بغداد مع اشتداد الهجمات المتبادلة بين الدولة السعودية وباشوية بغداد، حيث ذكر في كتابه هذا، أنه "خلال غيابه في إنجلترا بين عامي ١٧٩٥- ١٧٩٨م (١٢١٠- ١٢١٣هـ)، أرسل الباب العالي أوامر ملحة جداً إلى سليمان باشا، يحثه على القيام بحملة معدة إعداداً جيداً، هدفها تدمير

(١٣) لوريمر، **القسم التاريخي**، ج٤، ص١٩١٤؛ ويذكر جونز في كتابه هذا (ص١٧) أنه وصل إلى بغداد في بداية شهر سبتمبر عام ١٧٩٨م (ربيع أول ١٢١٣هـ). وكان السيد جون رينو ثالث أهم موظفي شركة الهند الشرقية الإنجليزية في البصرة، بعد مانستي وجونز، وقد رافقهما في الانتقال من البصرة إلى الكويت.

(١٤) انظر: **An Account of the Transactions**, p.5-7.

(١٥) لوريمر، **القسم التاريخي**، ج١، ص٢٦٩؛
Kelly, J. B. **Britain and the Persian Gulf** 1795-1880, Oxford, Oxford University Press, 1968, p. 65 .

القوة الوهابية تدميراً تاماً، مما يدل على مدى الإنزعاج الذي صارت تشعر به الحكومة العثمانية تجاه أتباع هذه الطائفة، وعلى مدى تعاظم قوتها"[١٦]. ثم أضاف أنه حينما وصل إلى بغداد في سبتمبر عام ١٧٩٨م (ربيع الأول ١٢١٣هـ)، وجد أن سليمان باشا قد تمكن من إعداد حملة قوية وكبيرة نتيجة لتلك الأوامر الملحة[١٧]. ويبدو أن هذا الصراع الشديد بين الدولة العثمانية -ممثلة بباشوية بغداد- وبين الدولة السعودية، وأثر ذلك على ولاية العراق، من ناحية، وعلى المصالح البريطانية في المنطقة، من ناحية أخرى، هو الذي دفع السيد جونز إلى كتابة ذلك التقرير المهم عن "الوهابيين" في ديسمبر ١٧٩٨م، أي بعد شهرين فقط من تسلمه لمنصبه في بغداد، وإرساله إلى رئيس مجلس مدراء الشركة. وهو التقرير الذي جعله المؤلف، فيما بعد، أساساً لكتابه هذا[١٨].

---

(١٦) انظر: **A Brief History**, p.16-17.

(١٧) حدث خلال فترة غياب المؤلف عن المنطقة، الحملة الفاشلة التي أرسلها باشا بغداد ضد الدولة السعودية بقيادة ثويني بن عبدالله، شيخ المنتفق والهجمات التي قام بها سعود بن عبدالعزيز على سوق الشيوخ وجنوب العراق رداً على تلك الحملة. انظر: ابن بشر، **عنوان المجد**، ج١، ص٢١٧-٢١٩، ٢٢٥-٢٢٨، ٢٣٦، ٢٤٠-٢٤١.

(١٨) يوجد هذا التقرير في:

The British Library (Oriental and India Office Collections), Factory Records, Persia and Persian Gulf, Vol. 21.

وسيشار إلى الوثائق والسجلات المحفوظة في مكتب الشرق والهند في هذه المكتبة البريطانية بعد الآن هكذا: **The British Library**, (O.I.O.C.) وقد أشار معين الدين أحمد خان (Muinuddin Ahmad Khan) الذي نشر هذا التقرير في مجلة دراسات إسلامية (Islamic Studies) الباكستانية، مجلد، ٧، عدد ١، لعام ١٩٦٨م، وقدم له بدراسة بعنوان: "A Diplomatic Report on Wahhabism of Arabia" إلى أن التقرير قد أرسل إلى وزارة الخارجية البريطانية في عام ١٧٩٩م وأنه محفوظ ضمن السجلات الفارسية في المتحف البريطاني في لندن. وقد تكون هذه النسخة، نسخة أخرى أرسلها جونز إلى وزارة الخارجية غير تلك التي أرسلها إلى رئيس مجلس مدراء شركة الهند الشرقية، لأن المقيم جونز كان يمثل كلاً من الحكومة والشركة في بغداد.

استمرت المناوشات بين باشوية بغداد والدولة السعودية خلال الثمان سنوات التي قضاها السيد جونز كمقيم بريطاني في باشوية بغداد . كما استمرت الهجمات التي كان يقوم بها الأمير سعود بن عبدالعزيز ضد نواحي البصرة وغرب الفرات. وخلال هذه الفترة أيضاً، تعاظم نفوذ الدولة السعودية في شرق وغرب جزيرة العرب، وتزايدت هجمات القواسم، أتباع الدولة السعودية في جنوب الخليج العربي ضد المراكب والتجارة المسقطية والهندية والبريطانية. وكان السيد جونز خلال هذه الفترة، يراقب ما كان يجري في داخل الجزيرة العربية وعلى أطرافها الشرقية والشمالية ويزود حكومة الهند البريطانية بتقارير دورية عن أوضاع العراق والأنشطة العسكرية التي كانت تقوم بها الدولة السعودية على الأطراف الجنوبية والغربية لتلك الولاية[١٩].

واجه هارفرد جونز عدداً من المشكلات أثناء إقامته في بغداد، كان منها المنافسة التي نشأت بينه وبين السيد صاموئيل مانستي، شريكه السابق في إدارة وكالة البصرة[٢٠]. ومنها اضطراب العلاقات في عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م، بين المقيم جونز وسليمان باشا، حاكم بغداد[٢١].

بعد وفاة سليمان باشا في ربيع الثاني عام ١٢١٧هـ/أغسطس ١٨٠٢م، ثار صراع على خلافته بين نائبه، (الكخيا) علي باشا وبين أغا الانكشارية ومؤيديه، وقد تسابق المتنافسون في طلب المساعدة من المقيم البريطاني لترجيح كفة كل منهم، وقد رفض جونز تقديم المساعدة لأغا الانكشارية وبذل الدعم اللازم لعلي باشا، بالرغم

---

(١٩) انظر: **The British Library** (O. I. O. C.), Vol. L/p & S/ 916, حيث يحوي هذا الملف المعنون: "Letters from Harford Jones, Baghdad" رسائل من المقيم جونز إلى رئيس مجلس المدراء يتحدث فيها عن علاقات "الوهابيين" بحكومة بغداد والدولة العثمانية وشركة الهند الشرقية.

(٢٠) انظر عن هذا الموضوع: لوريمر، **القسم التاريخي**، ج٤، ص١٩١٤، ١٩٢٠–١٩٢١.

(٢١) لوريمر، **القسم التاريخي**، ج٤، ص١٩١٧–١٩١٨.

من إدراكه لضعف كفاءة الكخيا وعدم إقتناعه بسياساته وسلوكه[٢٢]. وقد أسهم الدعم الذي قدمه المقيم جونز لعلي باشا والذي ساعد في تثبيته في باشوية بغداد، في تغلب المقيم على المشكلة التي كانت تلاحقه منذ أن وصل إلى بغداد، وهي مشكلة الاعتراف به كمقيم سياسي في تلك المدينة، حيث لم يتعود باشوات بغداد على وجود ممثل لدولة أجنبية قوية كبريطانيا، لها مصالح ونفوذ مهم في المنطقة وفي العاصمة العثمانية، ويتدخل بين وقت وآخر في شؤون الولاية[٢٣]. لقد تمكن المقيم جونز بفضل ذلك الدعم، وبعد مرور فترة قصيرة، وذلك في شهر رجب ١٢١٧هـ/ نوفمبر ١٨٠٢م، من الحصول على براءة الاعتراف به كقنصل بريطاني في بغداد، حسب نظام الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية، والتمتع بكل مميزات القنصلية السياسية، كالإعفاء من الضرائب وحقوق حماية التجارة والتجار والرعايا البريطانيين وحرية التجول في البلاد وحمل السلاح وغير ذلك[٢٤].

في شعبان ١٢٢٠هـ/ نوفمبر ١٨٠٥م، كتب علي باشا إلى السلطان العثماني وإلى السفير البريطاني في اسطنبول يطلب إبعاد السيد جونز من بغداد لأن الأسباب التي كانت تؤدي إلى تضايق الباشا من وجود قنصل بريطاني في بلاطه لم تختف. فوافق السلطان على ذلك، ولم يتحمس السفير البريطاني للدفاع عن جونز وطلب منه مغادرة بغداد التي تركها في أواخر عام ١٢٢٠هـ / بداية ١٨٠٦م، متوجهاً إلى

---

(٢٢) لوريمر، **القسم التاريخي**، ج٤، ص١٩٢٢-١٩٢٥؛ وانظر أيضاً:
A Brief History, Note No. X

(٢٣) يذكر جونز (ص١٦، ١٨-١٩ من كتابه هذا) أن إحدى مهماته في بغداد، هي دفع الباشا إلى مساعدة السلطان العثماني في جهوده لمواجهة الغزو الفرنسي لمصر. كما يذكر أن الباشا قد أخرج ما يقارب نصف مليون جنيه لمساعدة المجهود الحربي العثماني ضد الفرنسيين في مصر بعلم من المقيم، وأن القسم الأكبر من ذلك المبلغ قد تم إرساله عن طريقه.

(٢٤) لوريمر، **القسم التاريخي**، ج٤، ص١٩٢٧-١٩٢٨.

اسطنبول عن طريق الموصل[٢٥]. وقد تمكن السيد هافرد جونز، بعد وصوله إلى العاصمة العثمانية في ربيع الأول ١٢٢١هـ/ مايو ١٨٠٦م من كسب ثقة واحترام كل من السلطان العثماني سليم الثالث والسفير البريطاني هناك، السيد تشارلز آربثنت (Charles Arbuthnot)، بفضل سعة إلمامه ومعرفته بشؤون الشرق، فمنحه السلطان وسام الهلال من الدرجة الثانية، وأوصى السفير بمنحه لقب "بارون" تقديراً للعمل الذي قام به في بغداد خلال ثمان سنوات، وحمّله مراسلات هامة إلى لندن[٢٦].

أعاد الإمبراطور بونابرت محاولاته لإحياء نفوذ فرنسا في الشرق، وبعث في عام ١٢٢١هـ/١٨٠٦م سفراء لتوثيق العلاقة مع شاه الفرس ووعده بتقديم المساعدات ضد الروس الذين بدأوا في تهديد أقاليمه الشمالية في مقابل التعاون معه في الهجوم على الهند. ولأن السيد جونز كان على إطلاع على التهديدات الروسية لبلاد فارس والمفاوضات الفارسية الفرنسية حينما كان في بغداد، فقد بادر إلى تقديم مذكرة في يناير عام ١٨٠٧م (شوال ١٢٢١هـ) إلى مجلس الهند (India Board)، حذر فيها من التقارب الفرنسي الفارسي ومدى خطورته على المصالح البريطانية في الشرق، وأوصى بضرورة إرسال سفارة إلى طهران لوقف ذلك التقارب وتخفيف الضغوط الروسية على الفرس. كما أوصى السيد جونز بأن تكون السفارة من قبل الحكومة البريطانية وليس من قبل الشركة لإعطائها ثقلاً أكبر[٢٧].

صدرت أوامر الحكومة في لندن بإرسال السير هارفرد جونز بعد منحه لقب البارونية (Baronetcy) في بعثة إلى طهران بمهمات متعددة ومعقدة في بلاد فارس والعراق. وقد أمر جونز في حالة فشله في تلك المهمات بالاتصال بالأمير سعود بن عبدالعزيز زعيم "الوهابيين" الذي كان يسيطر في ذلك الوقت على جزيرة العرب من

---

(٢٥) لوريمر، **القسم التاريخي**، ج٤، ص١٩٣٠.

(٢٦) لوريمر، **القسم التاريخي**، ج٤، ص١٩٣١.

(٢٧) Kelly, **Britain**, P. 79-81.

البحر إلى البحر لكسب تعاونه ضد أي تقدم فرنسي من البحر المتوسط في اتجاه الهند[٢٨].

لقد ذعرت حكومة الهند بتطور العلاقات الفرنسية الفارسية، وقررت مواجهة الأخطار الفرنسية - الروسية - الفارسية بالسرعة الممكنة وبالوسائل الدبلوماسية أو العسكرية إذا ما تطلب الأمر ذلك، وعدم انتظار وصول السير هارفرد جونز[٢٩]. فأرسلت الجنرال جون مالكوم (John Malcolm)، الذي كان أشد المتحمسين لمواجهة تلك الأخطار، على رأس بعثة سياسية إلى طهران في بداية عام ١٨٠٨م (نهاية ١٢٢٢هـ) في مهمة مماثلة لمهمة السير جونز، وتم تزويده بصلاحيات سياسية وعسكرية واسعة، ودعمه بقوة بحرية في الخليج. إلا أن الجنرال مالكوم فشل في مهمته بسبب وجود بعثة فرنسية في طهران فعاد إلى الهند[٣٠].

وبمجرد أن علم السير جونز بفشل بعثة مالكوم، بادر لأداء مهمته المعلقة. ووصل إلى البلاط الفارسي، ونجح فيما فشل فيه مالكوم، وتوصل إلى معاهدة بريطانية فارسية تمهيدية في مارس ١٨٠٩م (محرم ١٢٢٤هـ)، بالرغم من المعوقات التي وضعتها حكومة الهند في طريق مهمته[٣١]. ولأن حكومة الهند لم تكن مرتاحة لترأس رجل معين من قبل حكومة لندن بعثة إلى بلاد فارس، لاعتقادها أن تلك البلاد ضمن اختصاصها، فقد أرسل الحاكم العام مينو (G. E. Minto) الجنرال مالكوم في بعثة أخرى إلى طهران لكي يحرم جونز من قطف ثمار النجاح الذي حققه. وكانت النتيجة نشوء تنافس في البلاط الفارسي بين ممثل حكومة الهند وممثل حكومة لندن، انتهى

---

(٢٨) Kelly, **Britain**, P. 81-83.

(٢٩) Kelly, **Britain**, p. 83-86؛ وأيضاً:
Wilson, Arnold, **The Persian Gulf**, London, 1959, p. 255.

(٣٠) Kelly, **Britain**, p. 86-90؛ لوريمر، **القسم التاريخي**، ج١، ص٢٧٣.

(٣١) Kelly, **Britain**, p. 91-95; Wilson, **The Persian**, p. 255؛ لوريمر، **القسم التاريخي**، ج١، ص٢٧٤-٢٧٥.

بانسحاب المبعوثين في صيف وأواخر عام ١٨١٠م (١٢٢٥هـ) على التوالي، حيث توجه السير جونز إلى إنجلترا مروراً باسطنبول[٣٢].

لقد أمضى السير هارفرد جونز في خدمة شركة الهند الشرقية والحكومة البريطانية سنوات طويلة، اكتسب خلالها قدراً كبيراً من الخبرة السياسية والدبلوماسية والثقافة الشرقية مما كان يؤهله لأعلى المناصب في الهند. وكان يطمع بشكل خاص، بعد نجاح بعثته إلى طهران إلى تولي منصب حاكم بومبي، لكن أصدقاءه من مسئولي الشركة في لندن الذين لمحوا له بذلك كانوا قد ماتوا أو تركوا مناصبهم، من أمثال اللورد ملفل (Lord Melville) والسير إنجلز (Sir Inglis)[٣٣]. أما في الهند فلم يكن له أصدقاء يدعمون تحقيق طموحاته، ولذلك فقد فضل التقاعد من خدمة الشركة، وعاد إلى إنجلترا للاشتغال بالسياسة المحلية هناك[٣٤].

لقد نتج عن إلمام السير هارفرد جونز بريدجز بعدد من اللغات الشرقية وإقامته لفترات طويلة في الهند والعراق وبلاد فارس وإطلاعه على عادات وتقاليد وأديان شعوب الشرق، أن نمى لديه إهتمام بتاريخ تلك الشعوب وتفهم لعقائدها وتعاطف مع أوضاعها ومشكلاتها، وذلك خلافاً لمواقف كثير من رجال الاستعمار الأوروبي خلال القرن التاسع عشر الميلادي. وقد تجلى ذلك من خلال مؤلفاته وكتاباته التي أصدرها بعد تركه العمل في الشرق، والتي ضمنها كثيراً من آرائه وأفكاره عن الهنود والفرس والعرب والأتراك. ومن تلك المؤلفات والكتابات كتابه هذا موضوع الدراسة.

(٣٢) Kelly, **Britain**, p. 94-96، أرسلت حكومة لندن في أواخر عام ١٨١١م (١٢٢٦هـ) السير جور أوسلي (Gore Ouseley) إلى طهران خلفاً للسير جونز وكلفته بتحويل المعاهدة التمهيدية التي توصل إليها جونز مع الشاه إلى معاهدة دائمة. وقد تم ذلك في مارس من العام التالي.

(٣٣) **An Account of the Transaction** ..., p. 8-9.

(٣٤) **Dictionary of National Biography**, Vol. 3, p. 161-162.

إن الآراء التي ضمنها السير بردجز كتاب "موجز لتاريخ الوهابي" تجاه كل من الأتراك العثمانيين والعرب وخاصة أهل الدعوة الإصلاحية، يجب أن ينظر إليها في ضوء الخلفية الثقافية والسياسية التي ينتمي إليها المؤلف. لقد كان السير بريدجز من مثقفي عصر التنوُّر الأوروبي الذين تأثروا أيضاً بالثقافة الشرقية، وفي الوقت نفسه، كان أحد رجال الاستعمار البريطاني في الشرق. ولذلك، فقد جاءت آراؤه في الأتراك العثمانيين مختلفة عن آرائه في الشعوب الشرقية الأخرى بما في ذلك العرب. ففي الوقت الذي أبدى فيه المؤلف حياداً واضحاً تجاه الدعوة الإصلاحية وتفهماً لكثير من السياسات والأعمال التي كانت تقوم بها الدولة السعودية، والعادات والتقاليد التي كانت تحكم سلوك العرب الآخرين، فإنه يوجه في كثير من الأحيان انتقادات شديدة إلى سياسات الأتراك العثمانيين وولاتهم ويذم أخلاقهم وسلوكهم وتصرفاتهم. إن مجمل ما أبرزه المؤلف هنا من آراء، ينم عن مدى المفارقة التي لاحظها بين ما آلت إليه الأنظمة السياسية والدينية والأخلاقية الإسلامية على أيدي الأتراك العثمانيين عند منعطف القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) وبين ما أحدثته الدعوة الإصلاحية من تغييرات دينية وسياسية وأخلاقية في حياة عرب الصحراء.

ب - كتاب "موجز لتاريخ الوهابي":

عَنْون السير بريدجز كتابه هذا بـ"موجز لتاريخ الوهابي"؛ وهو يقصد "بالوهابي"؛ إمام أو زعيم أهل الدعوة الإصلاحية السلفية النجدية، أو حاكم الدولة السعودية الأولى التي ظهرت في نجد بعد منتصف القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي)، على أساس تلك الدعوة الإصلاحية السلفية التي قام بها المصلح المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وفي حين يطلق المؤلف لقب "الوهابي" على جميع حكام الدولة السعودية الأولى، أثناء كلامه عن الأحداث التي وقعت في عهودهم، إلا أن الإمام سعود بن عبدالعزيز حظي منه بالنصيب الأكبر من ذلك اللقب. والواقع أن الإمام سعود هو أكثر من اشتهر بلقب "الوهابي" لأن الأعمال العسكرية والسياسية

التي قام بها خلال عهد أبيه ثم خلال عهده، هي التي أدت إلى احتكاك أهل الدعوة الإصلاحية مع مجتمعات شرق وغرب وشمال الجزيرة العربية، وهي المجتمعات التي تم فيها إطلاق هذا اللقب على خاصة أهل تلك الدعوة وعامتهم.

لم يكن أهل الدعوة الإصلاحية يسمون أنفسهم بالوهابيين ولم يكونوا يحبون أن يدعوهم الناس بذلك اللقب، بل كانوا يسمون أنفسهم بالمسلمين أو الموحدين ويصفون أنفسهم بأنهم سلفيون. لقد أطلق لقب "وهابي" و"وهابيين" "ووهابية" على أهل الدعوة الإصلاحية من قبل أعدائهم السياسيين وأولئك الذين كانوا يعارضون آراءهم ومبادئهم الدينية، وخاصة في المناطق والبلدان التي دخل أهل الدعوة في حروب مع أهلها، وذلك نسبة لصاحب تلك الدعوة؛ الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقد زعم أولئك المعارضون أن الشيخ كان يدعو إلى مذهب جديد.

ظهر لقب "وهابي" و"وهابيون" "ووهابية" في أغلب المؤلفات التاريخية والدينية المعاصرة للدولة السعودية الأولى وخاصة عهد الإمام سعود، التي تعرضت لذكر أهل الدعوة الإصلاحية ونشاطاتهم العسكرية والسياسية والدينية، والتي كتبت في الأقاليم والبلدان المجاورة لنجد سواء في داخل الجزيرة العربية مثل الأحساء وعمان واليمن والحجاز، أم في خارجها مثل العراق والشام ومصر وغيرها من الأقاليم الخاضعة للدولة العثمانية. هذا فضلاً عن الرسائل والردود والجدل الديني المتبادل بين أهل الدعوة ومعارضيها، ومراسلات القادة والساسة العثمانيين، ومراسلات وتقارير الموظفين والوكلاء والساسة الأوروبيين، ومؤلفات الرحالة الغربيين الذين زاروا المنطقة خلال تلك الفترة[٣٥]. ومع اشتداد الصراع العسكري والجدل الديني بين أهل الدعوة

(٣٥) من هذه المؤلفات والرسائل والتقارير التي ورد فيها هذا اللقب: مؤلفات كل من: رسول الكركوكلي، وعثمان بن سند البصري، ومؤلف كتاب لمع الشهاب، وحميد بن رزيق، وأحمد زيني دحلان، وعبدالرحمن الجبرتي، وخليل الرجبي، وحسن أغا العبد، ورسائل طوسون باشا وإبراهيم باشا ومحمد علي باشا، ورسائل وتقارير موظفي شركة الهند الشرقية الإنجليزية في الخليج العربي ورسائل موظفي حكومة الهند البريطانية، ومؤلفات بوركهارت ومانجان وجان =

وأعدائها، واشتداد الدعاية العثمانية ضد أهل الدعوة للحد من إتساعها، إكتسب ذلك اللقب صفة سلبية، حتى أصبح الوهابيون في نظر العثمانيين وساستهم وعلمائهم أصحاب مذهب جديد تجب محاربته.

أما السير بريدجز وأمثاله من الرحالة والساسة الغربيين الذين لم تكن بينهم وبين أهل الدعوة الإصلاحية خلافات دينية أو عداوات سياسية، فقد وجدوا هذا اللقب مستخدماً من قبل المجتمعات المعادية لأهل الدعوة التي احتكوا بها وأخذوا منها معلوماتهم عن الدعوة وأهلها، لكنهم لم يعطوا تسمية الوهابيين مدلولاً سلبياً، بل نسبوا الدعوة وأهلها إلى اسم مؤسسها، كما هو الحال في كثير من المذاهب والطوائف والحركات الدينية والسياسية والاجتماعية وغيرها. بل إن كثيراً من الكتاب والرحالة الغربيين ومنهم بريدجز، كانوا أكثر حياداً وإنصافاً من أغلب معاصريهم المسلمين الذين تناولوا هذه الدعوة الإصلاحية في كتاباتهم، وذلك لبعدهم عن الهوى.

١- مصادر الكتاب:

كان مؤلف الكتاب -كما سبقت الإشارة إلى ذلك- موظفاً بارزاً من موظفي شركة الهند الشرقية الإنجليزية وحكومة الهند البريطانية في جنوب العراق، وقد أمضى فترة طويلة في كل من البصرة والكويت وبغداد، على مقربة من مسرح الأحداث في داخل الجزيرة العربية، يراقب -بشكل خاص- علاقات أهل الدعوة الإصلاحية بشرق جزيرة العرب والعراق. وقد أتاح هذا الموقع للمؤلف -كما يذكر هو نفسه- الاطلاع والاستفادة من المراسلات والتقارير التي كتبها هو وزملاؤه وغيرهم من الموظفين البريطانيين في الخليج العربي وجنوب العراق التي كانت تزود حكومة الهند بما تحتاجه من معلومات عما يجري في داخل جزيرة العرب وعلى سواحلها الشرقية وتخومها الشمالية[٣٦].

= روسو وغيرهم. انظر البيانات البيلوغرافية الكاملة لهذه المؤلفات في قائمة مصادر ومراجع الدراسة.

(٣٦) انظر: A Brief History, p. 106.

كان من أهم مصادر الكتاب أيضاً، الأخبار والروايات التي كان يتداولها الناس في البلدان التي أقام فيها المؤلف في الكويت وجنوب العراق وبغداد، سواء كان أولئك الناس من أهل جنوب العراق الذين كانوا يتعرضون سنوياً تقريباً لحملات قادة الدولة السعودية، أم كانوا من التجار والمهاجرين النجديين إلى تلك المنطقة، والذين لجأ بعضهم إليها هرباً من ضغوط الدولة السعودية. وبالرغم من أن المؤلف كان متنبهاً إلى دوافع انحياز أخبار وروايات مثل هؤلاء -على ما يبدو- إلا أن الباحث المدقق يجب أن يضع في اعتباره إمكانية تسلل آراء وروايات تلك الفئات الناقمة على أهل الدعوة الإصلاحية إلى ما كتبه المؤلف.

كان من أهم مصادر الكتاب أيضاً، المؤلفات التي كتبها الرحالة والموظفون والمغامرون الأوربيون الذين زاروا المنطقة العربية، أو عملوا فيها واستقطب اهتمامهم ظهور الدعوة الإصلاحية وانتشارها وتوسع الدولة السعودية والحروب التي شنتها الدولة العثمانية ضدها. وكانت هذه المؤلفات قد نشرت في أوروبا قبل أن ينشر السير بريدجز كتابه بعدة سنوات.

كان أول من نقل خبر ظهور الدعوة الإصلاحية في نجد إلى أوروبا حسب علمنا هو، الرحالة المشهور كارستن نيبور (Carsten Niebuhr) ، الذي مر بالخليج العربي عائداً إلى أوروبا من اليمن والهند في عام ١٧٦٥م (١١٧٩هـ). وقد نشرت رحلة نيبور باللغة الألمانية ثلاث مرات، أولاها في عام ١٧٧٢م (١١٨٦هـ). وفي العام التالي ١٧٧٣م (١١٨٧هـ) نشرت باللغة الفرنسية. وفي عام ١٧٩٢م (١٢٠٧هـ) ترجمت إلى اللغة الإنجليزية ونشرت بعنوان: "رحلات في جزيرة العرب وبلاد أخرى في الشرق"[٣٧].

---

(٣٧)

Niebuhr, C., **Travels Through Arabia and other Countries in the East**, Translated into English by Robert Heron, Edinburgh, R. Morison and Son, 1792.

والطبعة المستخدمة هنا هي إعادة نشر لطبعة أدنبره هذه قامت بها مكتبة لبنان في بيروت بدون تاريخ.

نقل نيبور ما سمعه في نواحي الخليج العربي وجنوب العراق عن الدعوة الإصلاحية التي كانت لا تزال محصورة في وسط نجد (العارض)، فوصف الدعوة بالدين الجديد، وسمى صاحبها "عبدالوهاب" ووصفه "بالنبي الجديد" الذي وحد شيوخ العارض وهزم شيخ الأحساء مرتين، وقال إن رجلاً من أهل الأحساء ذكر له أن هناك تشابهاً كبيراً بين مبادئ عبدالوهاب وبين مبادئ المكرمي شيخ نجران، وأن بين هذين الزعيمين الدينيين صداقة وتعاون لإخضاع الشيوخ السنيين في المنطقة. كما أخبره تاجر اعتاد زيارة بلدان نجد، أن عبدالوهاب يدعو إلى أن العبادة لا تجوز إلا لله وحده وأنه لا يجوز صرف شيء منها للأنبياء والصالحين، وأن ذكر محمد أو غيره من الأنبياء في الصلاة من أعمال الوثنية، وأنه لم ينزل أي كتاب أو وحي من السماء، وأن تقديم النذور لغير الله -كما يفعل أهل السنة- جريمة في حق الله[٣٨].

أبدى نيبور شكوكاً حول هذه الروايات، لأنها متناقضة كما قال، ولأنها صادرة عن بعض أهل السنة الذين تتناقض أعمالهم وتقاليدهم الدينية مع ما هو موجود في القرآن، وهي أعمال وتقاليد يحاربها عبدالوهاب، ولأنه لم يتمكن من مقابلة أحد من أتباع الدين الجديد ويسمع منه، ثم خلص إلى أن الدين الجديد يستحق أن يعتبر حركة إصلاح لتعاليم الإسلام وإعادتها لأصولها البسيطة الأولى[٣٩].

لم يذكر بريدجز كتاب نيبور كأحد مصادره، لكن بعض المعلومات والآراء التي رددها بريدجز سبقه إليها نيبور، مثل تسميته لصاحب الدعوة "عبدالوهاب" وأن ابنه محمداً خلفه في الزعامة الدينية، ثم بعد ذلك اعتبار ما يدعو إليه الشيخ مجرد محاولة للعودة لما كان عليه المسلمون الأوائل في العقائد والعبادات.

من أبرز الكتاب الأوربيين الذين نقلوا أخبار الدعوة الإصلاحية بشيء من

---

(٣٨) Niebuhr, **Travels**, Vol. 2. p. 131-134.

(٣٩) Niebuhr, **Travels**, Vol. 2. p. 134-136.

التفصيل إلى أوروبا ؛ السيد جان بابتست روسو (Jean Baptiste Rousseau)، الذي شغل منصب القنصل الفرنسي العام في بغداد ثم في حلب ، والذي نشر كتابه "ملاحظات تاريخية على الوهابيين" (Notice Historique Sur Les Wahabis) في عام ١٨٠٤م (١٢١٩هـ)، ثم أعاد نشره ملحقاً بكتابه الآخر ؛ "وصف باشوية بغداد" (Description du Pachalik de Bagdad) في باريس، عام ١٨٠٩م (١٢٢٤هـ). كذلك، ألف السيد، ل. أ. كورانسيز (Louis Alexandre Corancez)، الذي سبق روسو في شغل منصب القنصل العام الفرنسي في حلب ، كتاباً بعنوان : تاريخ الوهابيين منذ النشأة حتى نهاية عام ١٨٠٩م (Histoire des Wahabis depuis leur Origine Jusqu' a la Fin de 1809) ونشره في باريس عام ١٨١٠م (١٢٢٥هـ).

لم تكن معلومات هذين المؤلفين الفرنسيين عن الدعوة الإصلاحية ونشاطاتها دقيقة ، بل إن السيد روسو صور الدعوة الإصلاحية بأنها حركة مناهضة للإسلام وخارجة على العقائد الدينية ، وشبهها بحركة القرامطة[٤٠] ، مردداً بذلك الاتهامات التي كان العثمانيون وولاتهم ينسبونها لأهل الدعوة. ولابد أن السير بريدجز قد قرأ هذه المؤلفات الفرنسية ، لأنه وجه انتقاداً لاذعاً إلى السيد روسو بسبب الأخطاء الفادحة التي وردت في مؤلفاته[٤١].

من أهم المؤلفات الأوربية التي اعتمد عليها السير بريدجز أيضاً ، الكتاب الذي ألفه السيد فيلكس مانجان (Felix Mengin) بعنوان "تاريخ مصر في ظل حكومة محمد علي" (جزئين) (Histoire de L, Egypte Sous le Gouvernement de

---

(٤٠) Kelly, **Britain**, p. 48-49 .

(٤١) انظر: **A Brief History**, p. 109, 112،

وقد عدل روسو من بعض آرائه في عام ١٨١١م (١٢٢٦هـ) حين نشر مقالته: وصف الأقاليم التي يسيطر عليها الأمير سعود، الأمير الحالي للوهابيين.

Tableau des Possessions Teritoriales de L' Emir Sehoude, Prince actuel des We' habis..., Fund gruben des Orient, Vienna, 1811.

(Mohmmad Aly) الذي نشر في باريس عام ١٨٢٣م (١٢٣٨هـ). وقد عاش السيد مانجان مدة طويلة في مصر، حيث عمل كموظف سياسي في الوكالة الفرنسية هناك أثناء حروب محمد علي باشا في جزيرة العرب، وأورد في كتابه المذكور تفصيلات كثيرة عن "الوهابيين" ودولتهم والحملات العثمانية المصرية ضدهم. ويبدو أن السيد مانجان قد أخذ معلوماته عن الدعوة الإصلاحية والدولة السعودية ووقائع الحملات العثمانية المصرية في جزيرة العرب عن موظفي حكومة محمد علي وقادة الحملات المذكورة، بعد عودتهم إلى مصر، بالإضافة إلى زعماء آل سعود وآل الشيخ، الذين نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر بعد سقوط الدرعية في عام ١٨١٨م (١٢٣٣هـ)[٤٢]. ويبدو أن مانجان كان يروي كثيراً من أحداث حصار الدرعية عن شاهد عيان، حيث يقول رأينا، وشوهد، وبقينا نسمع، فأنطلقنا، أثناء وصفه لتلك الأحداث.

أخذ المؤلف عن كتاب مانجان عدة اقتباسات ضمنها نص كتابه وملاحظاته، من أهمها وأطولها جميعاً ما أورده عن حصار مدينة الدرعية ثم سقوطها واستسلام الإمام عبدالله بن سعود لإبراهيم باشا، والذي جاء في حوالي أربع وعشرين صفحة، وبلغته الأصلية (الفرنسية)، مفضلاً ذلك على ترجمته إلى اللغة الإنجليزية -كما قال- لقلة معلوماته عن ذلك الموضوع عند تأليف الكتاب، ولأن ذلك في نظره، أكثر عدلاً لكل من القارئ والسيد مانجان والمؤلف نفسه[٤٣].

---

(٤٢) قال عبدالرحمن الرافعي، في كتابه: **تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر**، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م، ج١، ص٤٣٤، أن السيد فيلكس مانجان، كان شاهد عيان للحوادث التي دونها في كتابه منذ جلاء الفرنسيين إلى سنة ١٨٣٨م، وكان مقيماً في مصر موظفاً سياسياً في الوكالة الفرنسية بالقاهرة، وكان صديقاً لمحمد علي باشا، وقد اشترك في بعض الحوادث التي دونها في كتابه، ولهذا فلكتابه قيمة كبيرة وهو من أهم مراجع تلك الحقبة. وهو يقع في ثلاثة أجزاء، سرد في الأول والثاني حوادث مصر من جلاء الفرنسيين إلى عام ١٨٢٣م، أما الثالث فاختص بالحوادث التي وقعت بين عامي ١٨٢٣-١٨٣٨م .

(٤٣) انظر: **A Brief History**, p. 134 , 161.

أهم المؤلفات الأوربية التي اعتمد عليها السير بريدجز في كتابه هذا، الكتاب الذي ألفه الرحالة السويسري الشهير؛ جون لويس بوركهارت (John Lewis Burckhardt) الذي تجول في بلاد الشام ومصر والحجاز، وألف كتاباً قيماً بعنوان "ملاحظات على البدو والوهابيين" (Notes on the Bedouins and Wahabys). وقد نشر هذا الكتاب في لندن عام ١٨٣٠م (١٢٤٦هـ)[٤٤].

إعتمد بريدجز على كتاب بوركهارت هذا إعتماداً كبيراً، وخاصة فيما يتعلق بالمبادئ والآراء الدينية التي كان يدعو إليها أهل الدعوة الاصلاحية، والأنظمة السياسية والمالية والعسكرية التي كانت تسير عليها الدولة السعودية الأولى، والحملات العسكرية التي شنها محمد علي باشا، الوالي العثماني في مصر، ضد تلك الدولة في الحجاز.

لقد نص السير بريدجز على أنه قرأ بتمعن شديد المواد القيمة التي ألفها حول تاريخ الوهابيين الرجل البارع السيد بوركهارت، وأكد أنه عندما تتفق المعلومات التي يتضمنها كتاب بوركهارت مع تلك التي في حوزته، أو المعلومات التي سمعها، وتم التأكيد له على أنها حقيقة، فإنه سيستخدمها، إما عن طريق صياغتها بعباراته، أو عن طريق اقتباس عبارات السيد بوركهارت نفسه[٤٥]. وقد ضمن المؤلف كتابه نصوصاً كثيرة اقتبسها من كتاب بوركهارت، وفي الوقت نفسه، حاول تصويب بعض المعلومات التي أوردها ذلك الرحالة في كتابه.

---

(٤٤) ترجم عبدالله الصالح العثيمين، القسم المتعلق بالوهابيين من هذا الكتاب والذي سماه المؤلف: (Materials for A History of the Wahabys) P. 273 - 432 ونشره في الرياض، عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، بعنوان: "مواد لتاريخ الوهابيين". وقد نشر كتاب آخر لبوركهارت يتعلق بجزيرة العرب في لندن في عام ١٨٢٩م (١٢٤٥هـ) بعنوان "رحلات في جزيرة العرب" (Travels in Arabia) (جزئين) وقد ترجم الجزء الخاص منه بالحجاز، عبدالعزيز الهلابي وعبدالرحمن الشيخ، ونشرته مؤسسة الرسالة، بيروت عام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م تحت عنوان؛ "رحلات في شبه جزيرة العرب".

(٤٥) انظر: **A Brief History**, p. 106.

٢ - أهم موضوعات الكتاب:

ضمَّن بريدجز آراءه ومعلوماته الأولى عن الدعوة الإصلاحية ونشاطاتها السياسية والعسكرية، والتي أصبحت فيما بعد أصل كتابه هذا، تقريراً خاصاً أرسله من بغداد، بصفته وكيلاً مقيماً لشركة الهند الشرقية في تلك المدينة، إلى رئيس مجلس مدراء الشركة، جيكوب بوسانكو (Jacob Bosanquet) في شهر ديسمبر عام ١٧٩٨م (جمادى الثانية ١٢١٣هـ)[٤٦]. وبعد ست وثلاثين عاماً من هذا التاريخ، وبعد أن تقاعد من خدمة الشركة والحكومة، قرر المؤلف نشر ذلك التقرير، مضيفاً إليه ما استجد لديه من آراء ومعلومات عن الدعوة الإصلاحية، وما حدث بعد ذلك التاريخ من وقائع وحروب، وخاصة الحملات العسكرية التي وجهها العثمانيون وواليهم على مصر، ضد الدولة السعودية الأولى. وربما شجعه على ذلك، ظهور كتابي؛ مانجان وبوركهارت، اللذان تضمنا آراء ومعلومات أكثر دقة وأقرب إلى ما كان لديه من آراء ومعلومات عن الموضوع.

لم يعط المؤلف اهتماماً كبيراً للأعمال الدينية والسياسية والعسكرية المبكرة التي قام بها أهل الدعوة الإصلاحية، فبعد أن أشار إلى دراسات صاحب الدعوة، واتفاقه مع أمير الدرعية لنشر دعوته الإصلاحية، وبداية انتشارها بين العرب، انتقل إلى الحديث عن علاقة أهل الدعوة بقبائل شرق الجزيرة العربية وجنوب العراق. ثم تحدث بعد ذلك عن علاقة الوكالة البريطانية في البصرة بحكومة بغداد وانتقالها إلى الكويت وعلاقتها بكل من شيخ الكويت وأهل الدعوة الإصلاحية.

تحدث المؤلف بعد ذلك بتركيز أكثر عن العلاقات العسكرية بين باشوية بغداد والدولة السعودية، فتحدث بالتفصيل عن حملة علي كخيا (١٢١٣هـ/ ١٧٩٨-١٧٩٩م)، فوصف توجهها إلى الأحساء وأعمالها العسكرية هناك، ثم عودتها إلى

---

(٤٦) تقدمت الإشارة إلى أن هذا التقرير يوجد في: **The British Library** (O. I. O.C.).

العراق بعد أن فشلت في تحقيق المهمة التي أنيطت بها ، وأبدى رأيه في أسباب ذلك الفشل ، حيث كان شاهد عيان لمغادرة تلك الحملة بغداد ثم عودتها إليها ، ثم أعطى المؤلف وصفاً فريداً لمراسم استقبال السفير السعودي الذي وصل إلى بغداد لإتمام معاهدة الصلح والهدنة التي عقدت بين علي كخيا وقادة الدولة السعودية . وقبل أن يختم المؤلف حديثه عن العلاقات بين الدولة السعودية وباشوية بغداد ، حاول تحليل الأوضاع السياسية والاقتصادية لتلك الباشوية التي كانت تواجه هجمات متكررة من قبل السعوديين ثم تحدث عن نشاط القواسم ، أتباع الدولة السعودية في جنوب الخليج ، وموقف حكومة الهند البريطانية منهم ، وفصل في الكلام عن حملة عام ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م ضدهم. وربما كان هذا القسم من الكتاب أكثره قيمة ، لأن المؤلف يتحدث هنا عن أمور شاهدها ، أو كانت له علاقة وثيقة بها ، ولم يأخذ معلوماته عنها عن مصادر أخرى.

انتقل مؤلف الكتاب بعد ذلك إلى غرب الجزيرة العربية ، فتحدث عن ضم الإمام سعود الحجاز إلى دولته وأثر ذلك على الدولة العثمانية ، وتكليف السلطان العثماني محمد علي باشا ، والي مصر ، بمهمة تسيير الحملات العسكرية ضد أهل الدعوة الإصلاحية لاستعادة الحرمين الشريفين من أيديهم. وقد فصل المؤلف في وصف وقائع الحملات التي قادها طوسون باشا ثم أبوه محمد علي باشا معتمداً في الكثير من ذلك -على ما يبدو- على ما ورد في كتاب بوركهارت الذي كان موجوداً في الحجاز أثناء حدوث بعض معارك تلك الحملات. استفاد المؤلف من كتاب بوركهارت ، كذلك ، في حديثه عن المبادئ الدينية والأنظمة السياسية والقضائية والمالية والعسكرية التي كانت تسير عليها الدولة السعودية الأولى . وقد ختم بريدجز كتابه بوصف حصار مدينة الدرعية وسقوطها واستسلام الإمام عبدالله بن سعود لإبراهيم باشا ، مقتبساً ذلك الوصف بلغته الفرنسية من كتاب "تاريخ مصر في ظل حكومة محمد علي" لمانجان ، الذي سبقت الإشارة إليه ، والذي كان معاصراً لتلك الوقائع. وقد أبدى

بريدجز بعد ذلك تعليلاته لهزيمة الإمام عبدالله على يد القوات العثمانية المصرية.

ذيل السير بريدجز كتابه بمجموعة من التعليقات والاقتباسات التي جاءت على هيئة ملاحق سماها ملاحظات (Notes to the Wahauby). بلغ عدد هذه الملاحظات اثنتين وعشرين ملاحظة، جاءت في إحدى وسبعين صفحة (ص١٦٧-٢٣٨) من الأصل بالبنط الصغير. وقد اختلفت هذه الملاحظات عن بعضها البعض اختلافاً واسعاً من حيث الطول والقصر، ومن حيث اللغات التي كتبت بها، والأشخاص الذين نسبت إليهم، والموضوعات التي تحدثت عنها تلك الملاحظات، ومن حيث قوة وضعف علاقتها بموضوع الكتاب. وقد تراوح طول الواحدة من هذه الملاحظات بين ثلاثمائة وثمان وخمسين سطراً وأربعة أسطر.

إن أقرب هذه الملاحظات إلى موضوع الكتاب هي الملاحظات: الثامنة (VIII) والتاسعة (IX) والتاسعة عشرة (XIX)، حيث تتحدث فقرات قصيرة من هذه الملاحظات عن أمور تتعلق بأهل الدعوة الإصلاحية والدولة السعودية.

أهمية الكتاب:

يستمد هذا الكتاب أهميته من ثلاث ميزات توفرت له:

١ - **الميزة الأولى**: أن مؤلفه السير هارفرد جونز بريدجز كان موظفاً من موظفي شركة الهند الشرقية الإنجليزية والحكومة البريطانية في العراق لفترة تقرب من تسعة عشر عاماً أتيح له خلالها فهم الاتجاهات السياسية في المنطقة والاطلاع على مراسلات زملائه موظفي الشركة الإنجليزية والحكومة البريطانية وتقاريرهم فيما يتعلق بالأوضاع في جنوب العراق ونواحي الخليج وداخل الجزيرة العربية. وقد تم توضيح ذلك من خلال الحديث عن المؤلف في بداية هذه الدراسة.

٢ - **الميزة الثانية**: أن السير بريدجز كان معاصراً للأحداث التي تحدث عنها في كتابه هذا، وقد خصص هذا الكتاب للحديث عن أهم الأعمال التي قام بها حكام

الدولة السعودية الأولى وخاصة الإمام سعود بن عبدالعزيز، وتحدث عن بعض الأمور وأورد بعض التفصيلات المتعلقة بتاريخ الدولة السعودية التي كان شاهد عيان عليها أو كان قريباً منها أو كانت له علاقة بها ولم ترد في مصادر أخرى معروفة .

لقد تحدث السير بريدجز عن علاقات الدولة السعودية الأولى بالكويت ومحاولاتها الاستيلاء على تلك المشيخة(٤٧). كما تحدث عن علاقة الوكالة البريطانية في البصرة ثم في الكويت بالحاكم السعودي(٤٨). كذلك أعطى بريدجز وصف شاهد عيان لمغادرة الحملة التي جهزها سليمان باشا في عام ١٢١٣هـ/١٧٩٨م ضد الدولة السعودية وأسند قيادتها لنائبه علي كخيا ووجهها إلى الأحساء، كما وصف عودتها وعلّل أسباب فشلها(٤٩). أعطى بريدجز أيضاً وصفاً مفصلاً وفريداً لمراسم استقبال مبعوث الإمام عبدالعزيز من قبل سليمان باشا الذي جاء لإتمام معاهدة الصلح التي توصل إليها الكخيا مع الأمير سعود(٥٠).

تحدث السير بريدجز أيضاً عن الحملات التي كانت تقوم بها الدولة السعودية في نواحي البصرة وغرب الفرات والهجمات التي كان يشنها القواسم على المراكب الهندية والبريطانية على مياه الخليج العربي ورد فعل حكومة الهند على تلك الهجمات(٥١). كما نقل وصفاً لهجوم القوات السعودية على مدينة كربلاء في عام ١٢١٦هـ/١٨٠١م، أرسله إليه أحد تجار بلدة الكاظمية القريبة من بغداد(٥٢).

---

(٤٧) **A Brief History**, p. 12-15.

(٤٨) **A Brief History**, p. 15-16.

(٤٩) **A Brief History**, p. 17- 23.

(٥٠) **A Brief History**, p. 23-27.

(٥١) **A Brief History**, p. 36-44.

(٥٢) **A Brief History**, p. 27- 28, 201- 203.

إن أغلب المعلومات التي أوردها بريدجز حول هذه الموضوعات قد انفرد بإيرادها في كتابه هذا وقد نقل عنه بعض من جاء بعده من المؤلفين.

٣ – **الميزة الثالثة**: إن هذا الكتاب يقدم وجهة نظر محايدة ومختلفة عن تلك التي يقدمها مؤرخو الدولة السعودية من ناحية، وتلك التي يقدمها الكتاب المعارضون لها من ناحية أخرى. لقد أبدى المؤلف حياداً واضحاً وفهماً صحيحاً للدوافع التي أدت إلى ظهور الدعوة الإصلاحية والأعمال الدينية والسياسية والعسكرية التي كانت تقوم بها، سواء كان ذلك في التقرير الذي كتبه إلى رئيس مجلس مدراء شركة الهند الشرقية في أواخر عام ١٧٩٨م (١٢١٣هـ)، أو في هذا الكتاب الذي نشره في عام ١٨٣٤م (١٢٥٠هـ). فقد نفى المزاعم والتهم التي كان يروجها العثمانيون وولاتهم وعلماؤهم ورعاياهم، والتي كانت تصور الدعوة الإصلاحية، أو "الوهابية" على أنها دين جديد أو فرقة مبتدعة خارجة على الإسلام، وأن أتباعها خوارج وكفار، وأن مؤسسها؛ محمد بن عبدالوهاب، لا يؤمن بنبوة محمد وغيره من الأنبياء، وهي التهم التي رددها كل من نيبور وروسو؛ فقال بريدجز: إن الأتراك أعلنوا، بدون أن يبذلوا كثيراً من الفحص لتلك المبادئ التي نشرها محمد بن عبدالوهاب، أنها ابتداع وخروج عن الدين، ولم يقفوا عند ذلك، بل إنهم لما وجدوا أن هذه المبادئ تتحدث عن النبي باحترام أقل مما تعودوا عليه، أعلنوا بكل جرأة، أن أتباع تلك المبادئ كفار. ثم أضاف، إن أشراف مكة والباشوات الأتراك الذين كانت تسيطر حكوماتهم على المناطق، التي يتجول فيها البدو الرحل والذين أصابهم الذعر من أعمال "الوهابيين"، وكذلك الحجاج العائدون من الحرمين، قد أسهموا في نشر وتوسيع تلك المزاعم والتهم[٥٣].

لقد أكد بريدجز "إن الدين والحكومة التي حاول الوهابيون تأسيسها، لم تكن

(٥٣) **A Brief History**, p. 108-109.

أكثر من عملية تطهيرية للشرائع الدينية والمدنية في الإسلام، وأن جهود عبدالوهاب ومحمد بن سعود كانت موجهة فقط لإصلاح المفاسد التي كانت تتسامح بها وتمارسها الجماعات الأخرى التي تعتنق تلك الشرائع، وإقامة ونشر بديلاً عنها، إلتزاماً بالعقيدة الصحيحة"(٥٤). وأضاف "إن الشهادة التي أدلى بها أشخاص يعلمون بواطن الأمور، وأولئك الذين تجشموا المتاعب لفحص ودراسة المبادئ التي جاء بها عبدالوهاب، والتي جاءت مناقضة لآراء الأتراك ومزاعمهم، قد نشرت على استحياء، وعندما نشرت كان أثرها ضعيفاً في مواجهة صخب العامة"(٥٥).

أشار بريدجز بعد ذلك، إلى أنه ربما كان أفضل الوسائل وأكثرها إنصافاً للحكم على مدى مخالفة عقيدة "الوهابيين" لما جاء في القرآن، أو موافقتها له، وبالتالي معرفة مقدار انتمائها إلى العقيدة الصحيحة أو العقيدة الباطلة، هي مقارنة ما يحتويه القرآن (الكريم) بما اشتملت عليه الرسائل التي أذاعها (الإمام) سعود بعد الاستيلاء على مكة، والتي تم الآن الاعتراف بأنها لا تحتوى إلا على ما يقبله أكثر مفسري القرآن ثقة وضبطاً، وأبرز علماء المسلمين في العقيدة. ثم أكد المؤلف أيضاً أن "الوهابيين" يعترفون بالتراث الذي خلفه محمد ﷺ (السُّنة النبوية) كمصدر أساسي للتشريع(٥٦).

لم يقتصر بريدجز على تصحيحه لمزاعم واتهامات العثمانيين وأتباعهم تجاه الدعوة الإصلاحية، بل حاول أيضاً أن يصحح الآراء التي نشرها بعض الأوربيين الذين تأثروا بالدعاية العثمانية، فوجه المؤلف انتقاداً شديداً لجان روسو، القنصل العام الفرنسي في بغداد وحلب، الذي خلص في مؤلفاته التي سبقت الإشارة إليها عن أهل الدعوة الإصلاحية إلى "أن الوهابيين يدعون إلى دين جديد، وأنهم بالرغم من اعترافهم بالقرآن، إلا أنهم مع ذلك ألغوا الحج إلى مكة إلغاءً تاماً"(٥٧)، وقرنهم

(٥٤) A Brief History, p. 107.

(٥٥) A Brief History, p. 108- 109.

(٥٦) A Brief History, p. 109-110.

(٥٧) A Brief History, p. 109.

بالقرامطة والإسماعيليين.

لم يتأثر السير بريدجز بالدعاية التي كان يثيرها ساسة وولاة وعلماء الدولة العثمانية ضد الدعوة الإصلاحية ومبادئها وسياسة وسلوك أهلها، فنظر نظرة فيها الكثير من الموضوعية والحياد إلى مبادئ "الوهابيين" وأنظمتهم الدينية والسياسية والقضائية والمالية والعسكرية، فوجد أنها محاولة لإحياء عقائد ومبادئ وأنظمة الإسلام الأولى، وتطهير وإصلاح المفاسد التي طرأت على الشرائع الدينية والمدنية خلال العصور الأخيرة، وذلك بعد عرضها على نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية.

لقد أكد المؤلف أن النظام السياسي الذي كانت تسير عليه الدولة السعودية هو نظام حر بكل ما في الكلمة من معنى، كما أشار إلى العدل والأمن والانضباط الذي أدخلته تلك الدولة على حياة عرب الصحراء بفضل تطبيقها لأحكام القرآن والسنة النبوية ومحاربتها للعادات والتقاليد القبلية القديمة التي كانت تثير الاضطراب والفوضى في الصحراء العربية[٥٨]. وقد أيد بشدة الرأي الذي ذهب إليه الرحالة بوركهارت حين قال: إنه بغض النظر عما إذا كانت العقيدة الإسلامية الصحيحة هي تلك المعمول بها على نطاق واسع (بين رعايا الدولة العثمانية) أو أنها تلك التي ينادى بها "الوهابيون"، فإن ذلك قليل الأهمية، ولكن المهم هو أن المبادئ "الوهابية" أصبحت مهمة للقضاء على اللامبالاة الكافرة التي كانت قد عمت جزيرة العرب وقسم كبير من المناطق العثمانية، والتي كان أثرها أكثر تدميراً لأخلاق الأمة من الاعتراف بدين خاطئ. وبناء على ذلك فإن فضيلة "الوهابيين" لا تكمن في كونهم صححوا الدين الحاضر، ولكن في كونهم جعلوا العرب يتقيدون بصرامة بالتعاليم الإيجابية لدين معين[٥٩].

[٥٨] انظر: الفقرات التي كتبها المؤلف عن الأنظمة الدينية والسياسية والقضائية والعسكرية في الدولة السعودية الأولى في **A Brief History**, p. 106- 134.

[٥٩] انظر هذا الرأي عند بوركهارت في:

J. L., Burckhardt, **Notes on the Bedouins and Wahabys**, collected during=

لقد لخص السير بريدجز رأيه في الأثر الذي ترتب على ظهور الدعوة الإصلاحية وسيطرة حكومتها على جزيرة العرب، والأعمال التي قام بها العثمانيون وواليهم محمد علي باشا ضد تلك الدعوة وحكومتها بقوله: "إني أشك كثيراً في أن الأثر الذي تركه محمد علي باشا في الجزيرة العربية -بواسطة ذهبه وليس بواسطة شجاعة قواته- سيجعل العرب أفضل بشراً وأسعد شعباً وأفضل جيراناً. وإنه لن يؤسفني أن أرى الحكومة التي تسبب هذا الباشا في تشتيتها في الوقت الحاضر تنهض من تحت رمادها. لأنه مهما كانت الأخطاء التي وقعت فيها، فإن الزمن سيكون كفيلاً بتصحيح أشد تلك الأخطاء أو تخفيفها، وإنه ليس لدي أي تردد في القول بأنني أفضِّل الحماس -أو إذا شئت- التعصب، على الإلحاد، وأفضل الأعمال الناتجة عن أسوأ أنواع القوانين، على الفعاليات الناتجة عن الفوضى. إن مخيلتي لا تستطيع أن تتصور كائناً أشد حقارة وأكثر خطورة وأشد قسوة على المجتمع من تركي ملحد"(٦٠).

إن الآراء والمعلومات التي ضمنها السير بريدجز تقريره إلى المسئولين البريطانيين في الهند في عام ١٧٩٨م (١٢١٣هـ) وتلك التي تضمنها كتابه هذا الذي نشر بعد ذلك بحوالي ستة وثلاثين عاماً، قد أسهمت في إعطاء من سنحت له الفرصة للاطلاع عليها من الساسة والقادة البريطانيين في الهند وإنجلترا ومنطقة الخليج العربي، بشكل خاص، وقراء اللغة الإنجليزية بشكل عام فكرة أشد وضوحاً وأكثر دقة عن الدعوة الإصلاحية ومبادئها وأهدافها وأنشطتها المختلفة، من تلك التي كانت شائعة في الأقطار التابعة للدولة العثمانية. وربما لهذا السبب كان البريطانيون والأوربيون وخاصة أولئك الذين عملوا في المشرق أو زاروه خلال هذه الفترة، أكثر تفهماً وأدق معلومات عن الدعوة

=his travels in the East, The Association for promoting the discovery of the interior of Africa, London, Henry Colburn and Richard Bentley, 1830, p. 285.

وعند المؤلف في **A Brief History**, p. 113- 114.

(٦٠) انظر: **A Brief History**, p.114.

الإصلاحية من أغلب المسلمين، بالرغم من أن كتاب السير بريدجز لم ينشر إلا بعد حوالي خمسة عشر عاماً من سقوط الدولة السعودية الأولى.

وفيما بعد، أصبح كتاب بريدجز من المصادر التي اعتمدت عليها المؤلفات والدراسات العلمية الحديثة، التي تناولت الدعوة الإصلاحية والدولة السعودية الأولى بشكل مباشر أو غير مباشر، والتي قدمت صورة أكثر وضوحاً وأكثر إنصافاً لتلك الدعوة والدولة من ذي قبل. من أبرز هذه المؤلفات والدراسات، كتابات؛ جورج بادجر (George P. Badger)[٦١] وآرنولد ولسون (Arnold Wilson) وج. ب. كيلي (J. B. Kelly) وج. ج لوريمر (J. G. Lorimer)، وبيلي وايندر (Bayly Winder)[٦٢]، وسانت جون فلبي (St. John Philby)، ومنير العجلاني، وجورج رينتز (George Rentz)[٦٣]، وأحمد أبو حاكمة، وعبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم وغيرهم.

في حين أبدى المؤلف موضوعية وحياداً واضحاً فيما يتعلق بالخلاف بين أهل الدعوة الإصلاحية وخصومها من العثمانيين وأتباعهم، نجده يتنازل عن بعض ذلك الحياد والموضوعية عندما يأتي الحديث عن علاقات أهل الدعوة وأتباعهم بحكومة الهند البريطانية ورعاياها وحلفائها، وهي الحكومة التي كان المؤلف أحد موظفيها. فقد وصف القواسم أتباع الدعوة الإصلاحية في جنوب الخليج العربي، الذين كانوا

---

(٦١) ترجم بادجر كتاب الفتح المبين في سيرة السادة اليوسعيدين لحميد بن رزيق وأضاف عليه تعليقات مهمة ونشره بعنوان **History of the Imams and Sayyids of Oman** في عام ١٨٧١م.

(٦٢) ألف وايندر كتاب: Saudi Arabia in the Nineteen century ونشره في نيويورك عام ١٩٦٥م.

(٦٣) كتب جورج رنتس رسالة دكتوراة لم تنشر في جامعة كاليفورنيا عام ١٩٤٨م بعنوان **Muhammad Ibn Abd al- Wahab (170314-1792) and the Beginning of Unitarian Empiere in Arabia.**

يخوضون حرباً ضد سلطنة مسقط وحليفتها حكومة الهند، وغيرهما من الأعداء، بالقراصنة والأنذال والمتشردين، وانتقد السياسة المرنة والمتساهلة التي كانت تسير عليها حكومة الهند البريطانية تجاه الأعمال التي كان يقوم بها القواسم ضد المراكب البريطانية والهندية.

نظر بريدجز إلى حكم الأتراك العثمانيين للبلاد العربية على أنه حكم أجنبي ظالم، وفسر التفاف العرب حول دعوة ابن عبدالوهاب وراية ابن سعود بأنه نتيجة لشعورهم بالرغبة في الحصول على الحرية المدنية والدينية والتخلص من الفساد والطغيان والظلم التركي[٦٤]. كما أشار في مواضع من كتابه هذا إلى الغطرسة والغرور التي كان الولاة والقادة الأتراك يعاملون بها رعاياهم وأتباعهم من العرب[٦٥]. كذلك، تردد وصف أولئك الولاة والقادة في كل من العراق ومصر، بالجهل في الأمور السياسية والإدارية والعسكرية وما كان يدور في العالم الخارجي[٦٦]. كما تكرر وصف أولئك القادة بالقسوة والمعاملة غير الإنسانية ليس مع أعدائهم فقط، وإنما مع أتباعهم وجنودهم ورعاياهم أيضاً[٦٧].

إن أشد ما لفت انتباه المؤلف من أخلاق وسلوك الأتراك هو مدى ما جبلت عليه أخلاقهم واستمرأه كبار وصغار قادتهم من الغدر ونكث العهود والخداع، حتى ظهر وكأنه من الثوابت التي تقوم عليها تصرفاتهم السياسية. وقد أورد في كتابه هذا عدداً كبيراً من الأمثلة على ذلك، وخاصة أثناء حديثه عن وقائع حملات محمد علي باشا وأولاده في الجزيرة العربية[٦٨]. وقد أبدى بردجز استغرابه الشديد من الثقة التي وضعها

(٦٤) انظر: **A Brief History**, p.8, 92.

(٦٥) انظر: **A Brief History**, p. 19, 87, 91.

(٦٦) انظر: **A Brief History**, p. 19, 22-23, 29, 75-76, 90-91.

(٦٧) انظر: **A Brief History**, p. 75-78, 87, 92.

(٦٨) انظر: **A Brief History**, p. 58, 59, 63, 67-70. 92-93.

الشريف غالب بن مساعد بتعهدات وأيمان محمد علي باشا، والثقة التي وضعها الإمام عبدالله بن سعود بوعود طوسون باشا وأخوه إبراهيم باشا، بالرغم من كل ما يعرفانه عن طبائع الأتراك وحوادث الغدر التي سبق أن صدرت عنهم[٦٩].

لقد أثار اشمئزاز المؤلف -بشكل خاص- الغدر الفاضح الذي صدر من محمد علي باشا نفسه في حق ثلاثمائة من المقاتلين السعوديين منحهم ذلك الباشا أماناً بأوامر مباشرة منه أثناء معركة بسل، فقبلوا ذلك الأمان، ولكنهم خُدعوا بعد ذلك حين قام ضباط الباشا بخوزقتهم وهم أحياء، على شكل جماعات على مداخل مكة وجدة والقهاوي الواقعة على الطريق بينهما، وكأن الباشا لم يجد طريقة للقبض على مثل هذا العدد الكبير من أتباع الدولة السعودية، أسهل من بذل الأمان لهم خلال المعركة، ليقوم بقتلهم بهذه الطريقة الشنيعة، بهدف إرهاب بقية العرب. وقد عبر بريدجز عن استنكاره لهذا التصرف الغادر بقوله "هل يمكن لأي كائن وهبه الله الخلق والملكة العقلية والإحساس الذي يتميز به الإنسان، ثم يطلع على المصير الذي آل إليه هؤلاء البؤساء بطريق الخداع، دون أن يصب اللعنات على رأس المسئول عن ذلك"[٧٠].

بالرغم من الصورة القاتمة التي رسمها المؤلف فيما يتعلق بأخلاق وسلوك محمد علي باشا وقادته وجنوده من الأتراك، إلا أنه لم يهمل الإشارة إلى بعض المحاسن التي صدرت عن بعضهم. فقد أشار إلى ما كان يتمتع به محمد علي باشا من جلد وحزم وثبات في المواقف الصعبة، وامتدح الخطة العسكرية التي نفذها في معركة بسل، كما أثنى على شجاعة ابنه إبراهيم باشا، وما تميز به على غيره من الأتراك. من حرص على حياة جنوده، وتحرر من حب المال، والاستعداد لقبول المشورة، ومسلكه في معاملة الإمام عبدالله بن سعود عند استسلامه[٧١].

---

(٦٩) انظر: ABrief History, p.36, 67, 101, 163.

(٧٠) انظر: A Brief History, p. 92.

(٧١) انظر: A Brief History, p. 90, 163-164.

لقد حاول بريدجز تصويب بعض الآراء والمعلومات التي أوردها بوركهارت، لكنه وقع في بعض الأخطاء التي وقع فيها بوركهارت نفسه، من ناحية، كما وقع في أخطاء قليلة لم تكن متوقعة من مثله من ناحية أخرى. فمن الأخطاء التي تابع فيها المؤلف بوركهارت؛ تسمية صاحب الدعوة الإصلاحية بعبدالوهاب(٧٢). أما تلك التي انفرد بها، فمن أبرزها أنه جعل الحملة التي قادها ثويني بن عبدالله، شيخ قبيلة المنتفق والتي قتل أثناءها، بعد حملة علي كخيا، كما جعلها رد فعل على هجوم القوات السعودية على كربلاء. وهذا يخالف ما ورد في المصادر السعودية والعراقية المعاصرة(٧٣). كذلك، ذكر المؤلف أثناء حديثه عن مهاجمة الحملة البريطانية عام ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م لموانئ القواسم، أن بلدة شناص تقع على ساحل البحر في ولاية كرمان، وبذلك تشكل قسماً من البلاد التي تدين بالسيادة لملك فارس(٧٤).

(٧٢) A Brief History, p. 7, 107.

(٧٣) A Brief History, p. 27-28؛ قارن بما ورد عند: ابن بشر، **عنوان المجد**، ج١، ص٢٢٥-٢٢٨؛ والكركوكلي، **دوحة الوزراء**، ص٢٠٤-٢٠٥؛ ولمع **الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب**، لمؤلف مجهول، تحقيق عبدالرحمن آل الشيخ، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، د.ت، ص١٢٩ وما بعدها.

(٧٤) **A Brief History**, p. 40, 41. الصواب أن بلدة شناص تقع على ساحل شمال الباطنة في عمان على بعد حوالي ٤٠ كيلاً إلى الشمال من بلدة صحار.

خاتمة

أمضى السير هارفرد جونز بريدجز حوالي تسعة عشر عاماً في البصرة والكويت وبغداد خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٧٨٤-١٨٠٦م/ ١١٩٨-١٢٢٠هـ كموظف لشركة الهند الشرقية الإنجليزية والحكومة البريطانية . وقد تزامنت هذه الفترة مع امتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى سواحل الخليج العربي والحجاز واحتكاك تلك الدولة عسكرياً بالدولة العثمانية ممثلة في ولاياتها في العراق والحجاز. وكان السير بريدجز وزملاؤه من موظفي الشركة والحكومة البريطانية يراقبون عن كثب ما كان يحدث في داخل الجزيرة العربية ويكتبون التقارير عن كل ذلك إلى إدارة الشركة وحكومة الهند. وكان من أهم تلك التقارير ذلك التقرير المطول الذي أرسله السير بريدجز إلى رئيس مجلس مدراء الشركة في عام ١٧٩٨م (١٢١٣هـ) والذي جعله بريدجز فيما بعد أساساً لكتابه هذا . لقد استفاد المؤلف من المراسلات والتقارير التي أرسلها هو وزملاؤه من الكويت والبصرة وبغداد ونواحي الخليج كما كان شاهد عيان أو قريباً من بعض الحوادث التي تكلم عنها في كتابه هذا ، ودعم آراءه ومعلوماته بما أورده بوركهارت ومانجان وغيرهما من المعاصرين للدولة السعودية الأولى من آراء ومعلومات تتطابق مع ما كان يعتقده .

لم تكن العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والحكومة البريطانية في الهند أو لندن سيئة ، ولذلك لم يتأثر الموظفون البريطانيون في الكويت والبصرة وبغداد بالدعاية العثمانية ضد الدعوة الإصلاحية والدولة السعودية فكانت تقاريرهم أكثر حياداً وتجرداً من التهم التي وصم بها أهل الدعوة الإصلاحية والدولة السعودية الأولى من قبل أغلب معاصريهم من المسلمين.

ومن هنا تكمن أهمية كتاب السير بريدجز "موجز لتاريخ الوهابي" في معاصرته للأحداث التي يتكلم عنها وكونه شاهد عيان على بعضها أو قريباً من بعضها الآخر ،

وخاصة تلك المتعلقة بعلاقات الدولة السعودية الأولى بالعراق ومشيخات الخليج العربي وحكومة الهند البريطانية. كما تكمن أهمية هذا الكتاب في تجرد مؤلفه في روايته لتلك الأحداث وحياده إزاء الاتهامات التي كانت توجه ضد الدعوة الإصلاحية والدولة السعودية الأولى من قبل أعدائها، وبذلك فإنه يمكن اعتبار هذا الكتاب واحداً من مصادر تاريخ الدولة السعودية الأولى.

المصادر والمراجع

أ – العربية:

- ابن بشر، عثمان بن عبدالله، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، تحقيق: عبدالرحمن آل الشيخ، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ.

- الجبرتي، عبدالرحمن بن حسن، **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، بيروت: دار الفارس، د. ت.

- أبو حاكمه، أحمد، **تاريخ الكويت الحديث**، ١٧٥٠ – ١٩٦٥م، الكويت: ذات السلاسل، ١٩٨٤م.

- الحلواني المدني، أمين بن حسن، **مختصر تاريخ الشيخ عثمان بن سند البصري المسمى بمطالع السعود بطيب أخبار الوالي داؤد**، بخط عبدالغني بن الشيخ محمد الخطيب.

- دحلان، أحمد زيني، **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام**، القاهرة: المطبعة الخيرية، ١٣٠٥هـ.

- الرافعي، عبدالرحمن، **تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر**، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م.

- ....، عصر محمد علي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٩م.

- الرجبي، خليل، **تاريخ الوزير محمد علي باشا**، تحقيق: دانيال كريسيليوس وآخرون، القاهرة: الآفاق العربية، ١٩٩٧م.

- عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، **الدولة السعودية الأولى ١١٥٨ – ١٢٣٣/١٧٤٥–١٨١٨م**، القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ١٩٨٧م.

- ....، **محمد علي وشبه الجزيرة العربيـــة**، القـاهرة: دار الكتـاب الجـامعي، ١٩٨٦م.

- ....، **من وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمـــد علـــي ١٢٢٢-١٢٣٤هـ/١٨٠٧-١٨١٩م**، القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ١٩٨٣م.

- العبد، حسن أغا، **حوادث بلاد الشـــام**، تحقيـق: يوسـف نعيسـة، دمشـق: دار دمشق، ١٩٨٦م.

- العجلاني، منير، **عهد سعود الكبير**، د.م، د.ن، د.ت.

- ....، **عهد الإمام عبدالله بن سعود**، الرياض: دار الشبل، ١٤١٤هـ.

- الكركوكلي، رسول، **دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الـــزوراء**، ترجمـة: موسـى كاظم نورس، بيروت: دار الكتاب العربي، بغدد: مكتبة النهضة، د.ت.

- **لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب**، المؤلف مجهول، تحقيـق: عبدالرحمـن آل الشيخ، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، د.ت.

- لوريمر، ج.ج، **دليل الخليج (القسم التاريخي والجغـــرافي)**، ترجمـة ونشـر مكتـب أمير دولة قطر، الدوحة: مطابع علي بن علي، ١٩٧٥م.

ب – الأجنبية:

- L / P & S Vol. 916 letters from Harford Jones, Baghdad, The Oriental and India Office Collections, The British Library.

- Abu Hakima, Ahmad, History of Eastern Arabia 1750-1800, The Rise and development of Bahrain and Kuwait, Beirut, Khayat: 1965.

- Brydges, Harford Jones, An Account of the Transaction of His Majesty's Mission to the Court of Persia in the years 1807-11, to which is Appended A Brief History of the Wahauby, London, Jomes Bohn, 1834.

- Burckhardt, John Lewis, **Notes on the Bedouins and Wahabys. Collected During his Travels in the East, The Association for Promoting The discovery of the Interior of Africa**, London, Henry Colburn and Richard Bentley, 1830 .
- **The Dictionary of National Biography**, Ed. By Sir Leslie Stephen and Sir Sidney Lee, Oxford: Oxford University Press, (Since 1917) Vol. 3.
- **Encyclopaedia Britannica**, William Benton, 1965 .
- Kelly, J. B., **Britain and the Persian Gulf** 1795-1880, Oxford, Oxford University Press, 1968 .
- Khan, Muinuddian Ahmad, "A Diplomatic Report on Wahhabism of Arabia," **Islamic Studies**, Vol. 7, No. 1, 1968, pp
- Mengin, Felix, **Histoire De L'egypte Sous Le Gouvernement De Mohammed- Aly**..., A Paris, Chez Arthus Bertrand, Libraize, 1823.
- Niebuhr, Carsten, **Travels Through Arabia and Other Countries in the East**, Translated into English by Robert Heron, Edinburgh, R. Morison and Son, 1792.
- Wilson, Arnold, **The Persian Gulf**, London, 1959.

Abstract

A Brief History of the Wahauby was published in London, 1834. It's author, Sir Brydges was a distinct official of the English East India Company and the British Government. He served in Basrah, Kuwait and Baghdad for more than twenty years, from 1784 to 1806, during which he was observing what was taking place in the interior of Arabia and wrote with his fellow officials reports to the English Company and Government. This period coincided with the rise and expansion of the First Saudi State and its friction with the neighboring powers in Iraq, Eastern and Western Arabia. Here lies the importance of Sir Brydges book as a contemporary source for the events which it recorded.

Brydge's book has also an additional distinction; In relating events and expressing his views, the author, showed an obvious accuracy and neutrality. He was not influenced by the Othoman propaganda against the Salafi (Wahhabi) reform movement and the Saudi State. The book contains details which are not found in other sources especially about the First Saudi State relations with the Gulf areas and the Pashalic of Baghdad. This book is rare, it was not reprinted since the 1834 small issue, so the object of this study is to present it as a source for the history of the First Saudi State.

قواعد النشر

١ - يراعى في البحوث التي تتولى بحوث تاريخية نشرها، الأصالة والمنهجية العلمية وسلامة اللغة .

٢ - يشترط في البحث المقدم ألا يكون قد سبق نشره .

٣ - تقدم جميع الأصول مكتوبة على جهاز الحاسب، (أي بي - أم) Traditional Arabic بنط (١٨) مع مراعاة أن يكون النسخ على وجه واحد (١٢,٥×٩١). وأن تكون العناوين والنص والحواشي بخط واحد وببنط مختلف لكل منها وترقم الصفحات ترقيمًا متسلسلاً بما في ذلك الجداول والأشكال، ويراعى أن تقدم الأشكال مرسومة بالحبر الصيني على ورق كلك مقاس ١٩× ١٢ سم .

٤ - عدد صفحات البحث ما بين ٤٠-١٢٠ صفحة بما في ذلك الأشكال والصور التوضيحية .

٥ - يفضل طباعة البحث على الجهاز (I.B.M) أوما يوافقه على خط **Traditional Arabic**) بنط (١٨) للمتن والحواشي بنط (١٢) . ولمن يستعمل جهاز ماكنتوش يستعمل خط (نديم) بنط (١٦) للمتن وبنط (١٤) للحاشية .

التوثيق : على الباحث أن يتبع النقاط التالية :

١ - عدم استخدام الألقاب العلمية والألقاب المكتبية في البحث .

٢ - يجب ذكر أسماء المجلات والدوريات المستخدمة في البحث بالكامل ، إذ لا يجب استخدام الاختصارات وإذا كانت الدورية أو الحولية تحمل اسمًا مكونًا من كلمة واحدة فإنه يكتفي بذكر الاسم مثل اسم (دراسات) .

٣ - يجب أن تعطي الأشكال التوضيحية أرقامًا متسلسلة بصرف النظر عن العدد الذي يحتويه الشكل الواحد .

٤ - يشار إلى الكتاب بذكر اسم مؤلفه كاملاً فعنوان الكتاب ثم مدينة النشر واسم الناشر وتاريخ النشر فرقم الصفحات .

٥ - في حالة تكرار استخدام المرجع الواحد يذكر اسم العائلة أو الشهرة للمؤلف ومختصر اسم الكتاب.

٦ - أما المقالات في الدوريات وغيرها فيذكر اسم مؤلف المقالة ثم عنوان المقالة (بين علامتي تنصيص) فعنوان الدورية فرقم العدد فسنة النشر (بين قوسين) ، فأرقام الصفحات المشار إليها .

٧ - في حالة تكرار استخدام مقال أو بحث منشور في دورية أو مجلة فإن الإحالة تكون بذكر لقب الباحث ثم مختصر عنوان البحث فأرقام الصفحات المشار إليها .

٨ - في حالة ظهور أسماء أكثر من ثلاثة مؤلفين لبحث أو عمل يقتصر في التوثيق إذا ورد ذكره لأكثر من مرة على ذكر اسم المؤلف الأول مع إضافة كلمة وآخرون .

٩ - تأخذ الحواشي أرقامًا متسلسلة داخل النص على أن تكون ببنط مختلف عن النص ويكون موقعها أسفل كل صفحة .

المعلومات المفقودة : يجب استخدام الاختصارات التالية في حالة عدم توافر بعض معلومات التوثيق :

د . م = دون مكان للنشر . د . أ = دون اسم ناشر .

د . ت = دون تاريخ نشر . د . ص = دون أرقام صفحات .

مطابع الخالد للأوفست
EL-KHALED Offset Printing Press
هاتف : ٢٦٥٢٢٠٢ ـ ٤٧٩١٠٩٦ Tel. : 2652202 - 4791096

Journal
Of
The Saudi Historical Society

A Scientific Periodical on Historical &Cultural Researches

7th Issue 4th Year
July 2003 A. D. / Jumada 1, 1424 A. H.

ISSNN : ١٣١٩-٨٨٨٢ ردمد